سورة الانشقاق

وهي عشرون وخمس آيات مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ۝٣ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۝٤ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٥﴾

أما انشقاق السماء فقد مر شرحه في مواضع من القرآن، وعن علي عليه السلام أنها تنشَقُّ من المجرة، أما قوله: ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا﴾ ومعنى أذن له استمع، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: «مَا أَذِنَ اللَّهُ لِشَيْءٍ كَإِذْنِهِ لِنَبِيٍّ يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ»(١) وأنشد أبو عبيدة والمبرد والزجاج قول قعنب:

صُمٌّ إِذَا سَمِعُوا خَيْرًا ذُكِرْتُ بِهِ ... وَإِنْ ذُكِرْتُ بِشَرٍّ عِنْدَهُمْ أَذِنُوا

والمعنى أنه لم يوجد في جِرم السماء ما يمنع من تأثير قدرة الله تعالى في شقها وتفريق أجزائها، فكانت في قبول ذلك التأثير كالعبد الطائع الذي إذا ورد عليه الأمر من جهة المالك أنصت له وأذعن ولم يمتنع، فقوله: ﴿قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾[فصلت: ١١] يدل على نفاذ القدرة في الإيجاد والإبداع من غير ممانعة أصلاً، وقوله ههنا: ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا﴾ يدل على نفوذ القدرة في التفريق والإعدام والإفناء من غير ممانعة أصلاً، وأما قوله: ﴿وَحُقَّتْ﴾ فهو من قولك: هو محقوق بكذا، وحقيق به، يعني وهي حقيقة بأن تنقاد ولا تمتنع؛ وذلك لأنه جسم، وكل جسم فهو ممكن لذاته، وكل ممكن لذاته فإن الوجود والعدم بالنسبة إليه على السوية، وكل ما كان كذلك كان ترجيح وجوده على عدمه أو ترجيح عدمه على وجوده - لا بد وأن يكون بتأثير واجب الوجود وترجيحه فيكون تأثير قدرته في إيجاده، وإعدامه نافذًا ساريًا من غير ممانعة أصلاً، وأما الممكن فليس له إلا القبول والاستعداد، ومثل هذا الشيء حقيق به أن يكون قابلاً للوجود تارة وللعدم أخرى من واجب الوجود. أما قوله: ﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ ففيه وجهان الأول: أنه مأخوذ من مد الشيء فامتد، وهو أن تُزال حبالها بالنسف، كما قال: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا﴾[طه: ١٠٥] يسوي ظهرها، كما قال: ﴿قَاعًا صَفْصَفًا ۝١٠٦ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾ [طه: ١٠٦-١٠٧] وعن ابن عباس مدت مد الأديم الكاظمي، لأن الأديم إذا مد زال كل انثناء فيه

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري في كتاب (فضائل القرآن) باب (من لم يتقن القرآن) (٤/ ١٩١٨) حديث رقم (٤٧٣٥) ومسلم في (صحيحه) (١/ ٥٤٥/ ٧٩٢) كلاهما من طريق ابن شهاب قال: أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة... به.

واستوى. والثاني: أنه مأخوذ من مده بمعنى أمده، أي يزاد في سعتها يوم القيامة لوقوف الخلائق عليها للحساب، واعلم أنه لا بد من الزيادة في وجه الأرض، سواء كان ذلك بتمديدها أو بإمدادها؛ لأن خلق الأولين والآخرين لما كانوا واقفين يوم القيامة على ظهرها، فلا بد من الزيادة في طولها وعرضها. أما قوله: ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا﴾ فالمعنى أنها لما مُدت رمت بما في جوفها من الموتى والكنوز، وهو كقوله: ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾[الزلزلة: ٢] ﴿وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾[الانفطار: ٤] ﴿بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ﴾[العاديات: ٩] وكقوله: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا﴾[المرسلات: ٢٥، ٢٦] وأما قوله: ﴿وَتَخَلَّتْ﴾ فالمعنى: وخلت غاية الخلو حتى لم يبق في باطنها شيء كأنها تكلفت أقصى جهدها في الخلو، كما يقال: تكرَّم الكريم، وترحَّم الرحيم. إذا بلغا جهدهما في الكرم الرحمة وتكلفا فوق ما في طبعهما، واعلم أن التحقيق أن الله تعالى هو الذي أخرج تلك الأشياء من بطن الأرض إلى ظهرها، لكن الأرض وُصفت بذلك على سبيل التوسع. وأما قوله: ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ فقد تقدم تفسيره إلا أن الأول في السماء وهذا في الأرض، وإذا اختلف وجه الكلام لم يكن تكرارًا.

قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَـٰقِيهِ ﴿٦﴾﴾

اعلم أن قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾[الانشقاق: ١] إلى قوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ﴾ شرط، ولا بد له من جزاء، واختلفوا فيه على وجوه: **أحدها:** قال صاحب الكشاف: حذف جواب (إذا) ليذهب الوهم إلى كل شيء فيكون أدخل في التهويل. **وثانيها:** قال الفراء: إنما ترك الجواب لأن هذا المعنى معروف قد تردد في القرآن معناه فعُرف، ونظيره قوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾[القدر: ١] ترك ذكر القرآن لأن التصريح به قد تقدم في سائر المواضع. **وثالثها:** قال بعض المحققين: الجواب هو قوله: ﴿فَمُلَـٰقِيهِ﴾ وقوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا﴾[الانشقاق: ٦] معترض، وهو كقول القائل: إذا كان كذا وكذا يا أيها الإنسان ترى عند ذلك ما عملتَ من خير أو شر. فكذا ههنا. والتقدير: إذا كان يوم القيامة لقي الإنسان عمله. **ورابعها:** أن المعنى محمول على التقديم والتأخير، فكأنه قيل: يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحًا فملاقيه إذا السماء انشقت وقامت القيامة. **وخامسها:** قال الكسائي: إن الجواب في قوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ﴾[الإنشقاق: ٧] واعترض في الكلام قوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ﴾ والمعنى إذا السماء انشقت وكان كذا وكذا، فمن أوتي كتابه بيمينه فهو كذا، ومن أوتي كتابه وراء ظهره فهو كذا، ونظيره قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾[البقرة: ٣٨]، **وسادسها:** قال القاضي: إن الجواب ما دل عليه قوله: ﴿إِنَّكَ كَادِحٌ﴾ كأنه تعالى قال: يا أيها الإنسان ترى ما عملِتَ فاكدح لذلك اليوم أيها الإنسان لتفوز بالنعيم. أما قوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ﴾ ففيه قولان: **الأول:** أن المراد جنس الناس، كما يقال: أيها الرجل، وكلكم ذلك الرجل. فكذا ههنا، وكأنه

خطاب خص به كل واحد من الناس، قال القفال: وهو أبلغ من العموم لأنه قائم مقام التخصيص على مخاطبة كل واحد منهم على التعيين، بخلاف اللفظ العام فإنه لا يكون كذلك. **والثاني:** أن المراد منه رجل بعينه، وههنا فيه قولان: **الأول:** أن المراد به محمد ﷺ والمعنى أنك تكدح في إبلاغ رسالات الله وإرشاد عباده وتحمَّل الضرر من الكفار، فأبشِر فإنك تلقى الله بهذا العمل وهو غير ضائع عنده. **الثاني:** قال ابن عباس: هو أُبيّ بن خلف، وكدحه جِده واجتهاده في طلب الدنيا، وإيذاء الرسول عليه السلام، والإصرار على الكفر. والأقرب أنه محمول على الجنس لأنه أكثر فائدة، ولأن قوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الانشقاق: ٧] ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ﴾ [الانشقاق: ١٠] كالنوعين له، وذلك لا يتم إلا إذا كان جنسًا. **أما قوله:** ﴿إِنَّكَ كَادِحٌ﴾ فاعلم أن الكدح جهد الناس في العمل والكدح فيه حتى يؤثر فيها، من كدح جلده، إذا خدشه، أما قوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ ففيه ثلاثة أوجه: **أحدها:** إنك كادح إلى لقاء ربك وهو الموت، أي هذا الكدح يستمر ويبقى إلى هذا الزمان، وأقول: في هذا التفسير نكتة لطيفة، وذلك لأنها تقتضي أن الإنسان لا ينفك في هذه الحياة الدنيوية من أولها إلى آخرها عن الكدح والمشقة والتعب، ولما كانت كلمة (إلى) لانتهاء الغاية، فهي تدل على وجوب انتهاء الكدح والمشقة بانتهاء هذه الحياة، وأن يكون الحاصل بعد هذه الدنيا محض السعادة والرحمة، وذلك معقول، فإن نسبة الآخرة إلى الدنيا كنسبة الدنيا إلى رحم الأم، فكما صح أن يقال: يا أيها الجنين إنك كادح إلى أن تنفصل من الرحم، فكان ما بعد الانفصال عن الرحم بالنسبة إلى ما قبله خالصًا عن الكدح والظلمة، فنرجو من فضل الله أن يكون الحال فيما بعد الموت كذلك. **وثانيهما:** قال القفال: التقدير: إنك كادح في دنياك كدحًا تصير به إلى ربك. فبهذا التأويل حسن استعمال حرف (إلى) ههنا. **وثالثها:** يحتمل أن يكون دخول (إلى) على معنى أن الكدح هو السعي، فكأنه قال: ساع بعملك ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ أما قوله تعالى: ﴿فَمُلَٰقِيهِ﴾ ففيه قولان: **الأول:** قال الزجاج: فملاقٍ ربك، أي ملاق حكمه لا مفر لك منه. وقال آخرون: الضمير عائد إلى الكدح، إلا أن الكدح عمل وهو عَرَضٌ لا يبقى فملاقاته ممتنعة، فوجب أن يكون المراد ملاقاة الكتاب الذي فيه بيان تلك الأعمال، ويتأكد هذا التأويل بقوله بعد هذه الآية: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾.

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩﴾

فالمعنى: فأما من أعطي كتاب أعماله بيمينه ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ و(سوف) من الله واجب وهو كقول القائل: (اتبعني فسوف نجد خيرًا) فإنه لا يريد به الشك، وإنما يريد ترقيق الكلام. والحساب اليسير هو أن تُعرض عليه أعماله، ويعرف أن الطاعة منها هذه والمعصية هذه، ثم يثاب على الطاعة ويتجاوز عن المعصية، فهذا هو الحساب اليسير لأنه لا شدة على

صاحبه ولا مناقشة، ولا يقال له: لِمَ فعلت هذا؟ ولا يطالب بالعذر فيه ولا بالحجة عليه. فإنه متى طولب بذلك لم يجد عذرًا ولا حجة فيفتضح، ثم إنه عند هذا الحساب اليسير يرجع إلى أهله مسرورًا فائزًا بالثواب آمنًا من العذاب، والمراد من (أهله) أهل الجنة من الحور العين أو من زوجاته وذرياته إذا كانوا مؤمنين، فدلت هذه الآية على أنه سبحانه أعد له ولأهله في الجنة ما يليق به من الثواب، عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اللَّهُمَّ حَاسِبْنِي حِسَابًا يَسِيرًا»، قلت: وما الحساب اليسير؟ قال: «يَنْظُرُ فِي كِتَابِهِ وَيُتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِ، فَأَمَّا مَنْ نُوقِشَ فِي الْحِسَابِ فَقَدْ هَلَكَ» وعن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ فَقَدْ هَلَكَ» فقلت: يا رسول الله إن الله يقول: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ قال: «ذَلِكَ الْعَرْضُ، وَلَكِنَّ مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ عُذِّبَ»[(1)] وفي قوله: (يحاسب) إشكال لأن المحاسبة تكون بين اثنين، وليس في القيامة لأحد قِبل ربه مطالبة فيحاسبه، وجوابه: أن العبد يقول: إلهي فعلتُ المعصية الفلانية. فكأن ذلك بين الرب والعبد محاسبة والدليل على أنه تعالى خص الكفار بأنه لا يكلمهم، فدل ذلك على أنه يكلم المطيعين والعبد يكلمه فكانت المكالمة محاسبة.

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ۝١١﴾

أما قوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ﴾ فللمفسرين فيه وجوه: **أحدها:** قال الكلبي: السبب فيه لأن يمينه مغلولة إلى عنقه ويده اليسرى خلف ظهره. **وثانيها:** قال مجاهد: تُخلع يده اليسرى فتُجعل من وراء ظهره. **وثالثها:** قال قوم: يتحول وجهه في قفاه، فيقرأ كتابه كذلك. **ورابعها:** أنه يؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره لأنه إذا حاول أخذه بيمينه كالمؤمنين يُمنع من ذلك وأوتي من وراء ظهره بشماله. فإن قيل: أليس أنه قال في سورة الحاقة: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ﴾[الحاقة: ٢٥] ولم يذكر الظهر؟ **والجواب:** من وجهين: **أحدهما:** يحتمل أن يؤتى بشماله وراء ظهره على ما حكيناه عن الكلبي. **وثانيها:** أن يكون بعضهم يعطى بشماله، وبعضهم من وراء ظهره.

أما قوله: ﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ۝١١﴾ فاعلم أن الثبور هو الهلاك، والمعنى أنه لما أوتي كتابه من غير يمينه علم أنه من أهل النار فيقول: واثبوراه!! قال الفراء: العرب تقول: فلان يدعو لهفه، إذا قال: والهفاه. وفيه وجه آخر ذكره القفال، فقال: الثبور مشتق من المثابرة على شيء، وهي المواظبة عليه فسمي هلاك الآخرة ثبور لأنه لازم لا يزول، كما قال: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان: ٦٥] وأصل الغرام اللزوم والولوع.

(١) **متفق عليه:** أخرجه البخاري في كتاب (العلم) باب (من سمع شيئا فراجع) (١/ ٥١) حديث رقم (١٠٣) ومسلم في (صحيحه) (٤/ ٢٢٠٤/ ٢٨٧٦) كلاهما من طريق ابن أبي مليكة عن عائشة... به.

قوله تعالى: ﴿ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ ﴾

أما قوله تعالى: ﴿ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴾، **ففيه مسألتان:**

المسألة الأولى: يقال: صلى الكافر النار، قال الله تعالى: ﴿وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠] وقال: ﴿وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ﴾ [آل عمران: ١١٥]وقال: ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ١٦٣]وقال: ﴿لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [الليل: ١٥، ١٦]والمعنى أنه إذا أُعطي كتابه بشماله من وراء ظهره فإنه يدعو الثبور ثم يدخل النار، وهو في النار أيضًا يدعو ثبورًا، كما قال: ﴿دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ [الفرقان: ١٣]وأحدهما لا ينفي الآخر، وإنما هو على اجتماعهما قبل دخول النار وبعد دخولها، نعوذ بالله منها ومما قرب إليها من قول أو عمل.

المسألة الثانية: قرأ عاصم وحمزة وأبو عمرو (وَيُصْلَى) بضم الياء والتخفيف، كقوله: ﴿وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ﴾ [آل عمران: ١١٥]وهذه القراءة مطابقة للقراءة المشهورة لأنه يصلى فيصلى، أي يدخل النار. وقرأ ابن عامر ونافع والكسائي بضم الياء مثقلة، كقوله: (وَتَصْلِيَةُ جحيم) وقوله: ﴿ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ [الحاقة: ٣١].

أما قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾ فقد ذكر القفال فيه وجهين: أحدهما: أنه كان في أهله مسرورًا، أي منعمًا مستريحًا من التعب بأداء العبادات واحتمال مشقة الفرائض من الصلاة والصوم والجهاد، مُقْدمًا على المعاصي آمنًا من الحساب والثواب والعقاب، لا يخاف الله ولا يرجوه فأبدله الله بذلك السرور الفاني غمًّا باقيًا لا ينقطع، وكان المؤمن الذي أوتي كتابه بيمينه متقيًا من المعاصي غير آمن من العذاب ولم يكن في دنياه مسرورًا في أهله، فجعله الله في الآخرة مسرورًا فأبدله الله تعالى بالغم الفاني سرورًا دائمًا لا ينفد. الثاني:أن قوله: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾ كقوله: ﴿وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ﴾ [المطففين: ٣١]أي متنعمين في الدنيا معجبين بما هو عليه من الكفر، فكذلك ههنا يحتمل أن يكون المعنى أنه كان في أهله مسرورًا بما هم عليه من الكفر بالله والتكذيب بالبعث يضحك ممن آمن به وصدق بالحساب، وقد روي عن النبي ﷺأنه قال: «الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ» (١).

أما قوله: ﴿ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾ فاعلم أن الحور هو الرجوع، والمحار المرجع والمصير، وعن ابن عباس. ما كنت أدري ما معنى يحور، حتى سمعت أعرابية تقول لابنتها: (حوري) أي ارجعي، ونقل القفال عن بعضهم أن الحور هو الرجوع إلى خلاف ما كان عليه المرء، كما قالوا: (نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْحَوْرِ بَعْدَ الْكَوْرِ) فعلى الوجه الأول معنى الآية أنه ظن أن لن يرجع إلى الآخرة، أي لن يُبعث، وقال مقاتل وابن عباس: حسب أن لا يرجع إلى الله تعالى، وعلى الوجه الثاني أنه ظن أن لن يرجع إلى خلاف ما هو عليه في الدنيا من السرور والتنعم.

---

(١)تقدم.

قوله تعالى: ﴿ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾

ثم قال تعالى: ﴿ بَلَىٰٓ ﴾ أي ليبعثن، وعلى الوجه الثاني يكون المعنى أن الله تعالى يبدل سروره بغم لا ينقطع، وتنعمه ببلاء لا ينتهي ولا يزول.

أما قوله: ﴿ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴾ فقال الكلبي: كان بصيرًا به من يوم خلقه إلى أن بعثه. وقال عطاء: بصيرًا بما سبق عليه في أم الكتاب من الشقاء. وقال مقاتل: بصيرًا متى بعثه. وقال الزجاج: كان عالمًا بأن مرجعه إليه. ولا فائدة في هذه الأقوال، إنما الفائدة في وجهين ذكرهما القفال: **الأول:** أن ربه كان عالمًا بأنه سيجزيه. **والثاني:** أن ربه كان عالمًا بما يعمله من الكفر والمعاصي، فلم يكن يجوز في حكمته أن يهمله فلا يعاقبه على سوء أعماله، وهذا زجر لكل المكلفين عن جميع المعاصي.

اعلم أن قوله تعالى: ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴾، **فيه مسائل:**

المسألة الأولى: أن هذا قسم، وأما حرف (لا) فقد تكلمنا فيه في قوله تعالى: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [القيامة: ١] ومن جملة الوجوه المذكورة هناك أن (لا) نفي ورد لكلام قبل القسم، وتوجيه هذا الوجه ههنا ظاهر؛ لأنه تعالى حكى ههنا عن المشرك أنه ظن أن لن يحور فقوله: (لا) رد لذلك القول وإبطال لذلك الظن ثم قال بعده: أُقسم بالشفق.

المسألة الثانية: قد عرفت اختلاف العلماء في أن القسم واقع بهذه الأشياء أو يخالفها، وعرفت أن المتكلمين زعموا أن القسم واقع برب الشفق وإن كان محذوفًا؛ لأن ذلك معلوم من حيث ورد الحظر بأن يقسم الإنسان بغير الله تعالى.

المسألة الثالثة: تركيب لفظ الشفق في أصل اللغة لرقة الشيء، ومنه يقال: (ثوب شفق) كأنه لا تماسك لرقته، ويقال للرديء من الأشياء: (شفق)، و(أشفق عليه) إذا رق قلبه عليه، والشفقة: رقة القلب ثم اتفق العلماء على أنه اسم للأثر الباقي من الشمس في الأفق بعد غروبها إلا ما يحكى عن مجاهد أنه قال: الشفق هو النهار. ولعله إنما ذهب إلى هذا لأنه تعالى عطف عليه الليل فيجب أن يكون المذكور أولاً هو النهار، فالقسم على هذا الوجه واقع بالليل والنهار اللذين أحدهما معاش والثاني سكن، وبهما قوام أمور العالم. ثم اختلفوا بعد ذلك فذهب عامة العلماء إلى أنه هو الحمرة، وهو قول ابن عباس والكلبي ومقاتل، ومن أهل اللغة قول الليث والفراء والزجاج. قال صاحب (الكشاف): وهو قول عامة العلماء إلا ما يروى عن أبي حنيفة في إحدى الروايتين عنه أنه البياض، وروى أسد بن عمرو أنه رجع عنه، واحتجوا عليه بوجوه: **أحدها:** قال الفراء: سمعت بعض العرب يقول: (عليه ثوب مصبوغ كأنه الشفق) وكان أحمر. قال: فدل ذلك على أن الشفق هو الحمرة. **وثانيها:** أنه جعل الشفق وقتًا للعشاء الأخيرة، فوجب أن يكون المعتبر هو الحمرة لا

البياض؛ لأن البياض يمتد وقته ويطول لبثه، والحمرة لما كانت بقية ضوء الشمس ثم بعدت الشمس عن الأفق ذهبت الحمرة. **وثالثها:** أن اشتقاق الشفق لما كان من الرقة، ولا شك أن الضوء يأخذ في الرقة والضعف من عند غيبة الشمس فتكون الحمرة شفقًا. أما قوله: ﴿وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ﴾ فقال أهل اللغة: وسق، أي جمع، ومنه الوسق وهو الطعام المجتمع الذي يكال ويوزن، ثم صار اسمًا للحمل، واستوسقت الإبل إذا اجتمعت وانضمت، والراعي يسقها أي يجمعها. قال صاحب (الكشاف): يقال: وسقه فاتسق واستوسق، ونظيره في وقوع افتعل واستفعل مطاوعين اتسع واستوسع. وأما المعنى فقال القفال: مجموع أقاويل المفسرين يدل على أنهم فسروا قوله تعالى: ﴿وَمَا وَسَقَ ﴾ على جميع ما يجمعه الليل من النجوم ورجوع الحيوان عن الانتشار وتحرك ما يتحرك فيه من الهوام. ثم هذا يحتمل أن يكون إشارة إلى الأشياء كلها لاشتمال الليل عليها، فكأنه تعالى أقسم بجميع المخلوقات كما قال: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ﴾[الحاقة: ٣٨] وقال سعيد بن جبير: ما عُمل فيه. قال القفال: يحتمل أن يكون ذلك هو تهجد العباد فقد مدح الله تعالى بها المستغفرين بالأسحار، فيجوز أن يحلف بهم. وإنما قلنا: إن الليل جمع هذه الأشياء كلها لأن ظلمته كأنها تجلل الجبال والبحار والشجر والحيوانات، فلا جرم صح أن يقال: وسق جميع هذه الأشياء. أما قوله: ﴿وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴾ فاعلم أن أصل الكلمة من الاجتماع، يقال: وسقته فاتسق، كما يقال: وصلته فاتصل، أي جمعته فاجتمع، ويقال: أمور فلان متسقة، أي مجتمعة على الصلاح، كما يقال: منتظمة، وأما أهل المعاني فقال ابن عباس: إذا اتسق، أي استوى واجتمع وتكامل وتم واستدار، وذلك ليلة ثلاثة عشر إلى ستة عشر. ثم إنه سبحانه وتعالى بعد أن ذكر ما به أقسم أتبعه بذكر ما عليه أقسم فقال: ﴿لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾، **وفيه مسائل:**

المسألة الأولى: قرئ: (لَتَرْكَبَنَّ) على خطاب الإنسان في يا أيها الإنسان، ﴿لَتَرۡكَبُنَّ ﴾ بالضم على خطاب الجنس لأن النداء في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ﴾[الانشقاق: ٦] للجنس (وَلَتَرْكَبِنَّ) بالكسر على خطاب النفس، و(لَيَركبَن) بالياء على المغايبة، أي ليركبن الإنسان.

المسألة الثانية: الطبق ما طابق غيره، يقال: ما هذا يطبق كذا، أي لا يطابقه، ومنه قيل: للغطاء الطبق، وطباق الثرى ما يطابق منه، قيل للحال المطابقة لغيرها طبق، ومنه قوله تعالى: ﴿طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾ أي حالاً بعد حال، كل واحدة مطابقة لأختها في الشدة والهول، ويجوز أن يكون جمع طبقة وهي المرتبة، من قولهم هو على طبقات، والمعنى لتركبن أحوالاً بعد أحوال، هي طبقات في الشدة بعضها أرفع من بعض، وهي الموت وما بعده من أهوال القيامة. ولنذكر الآن وجوه المفسرين فنقول: أما القراءة برفع الباء وهو خطاب الجمع فتحتمل وجوهًا: **أحدها:** أن يكون المعنى لتركبن أيها الإنسان أمورًا وأحوالاً أمرًا بعد أمر وحالاً بعد حال ومنزلاً بعد منزل إلى أن يستقر الأمر على ما يقضى به على الإنسان من جنة أو نار، فحينئذٍ يحصل الدوام والخلود إما في دار الثواب أو في دار العقاب، ويدخل في هذه الجملة أحوال الإنسان، من يكون نطفة إلى أن

يصير شخصًا ثم يموت فيكون في البرزخ، ثم يُحشر ثم يُنقل إما إلى جنة وإما إلى نار. **وثانيها:** أن معنى الآية أن الناس يَلقون يوم القيامة أحوالاً وشدائد حالاً بعد حال وشدة، بعد شدة كأنهم لما أنكروا البعث أقسم الله أن البعث كائن وأن الناس يلقون فيها الشدائد والأهوال إلى أن يفرغ من حسابهم، فيصير كل أحد إلى ما أُعد له من جنة أو نار، وهو نحو قوله: ﴿بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾ [التغابن: ٧]وقوله: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ [القلم: ٤٢]وقوله: ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ [المزمل: ١٧]، **وثالثها:** أن يكون المعنى أن الناس تنتقل أحوالهم يوم القيامة عما كانوا عليه في الدنيا، فمن وضيع في الدنيا يصير رفيعًا في الآخرة، ومن رفيع يتضع، ومن متنعم يشقى، ومن شقي يتنعم، وهو كقوله: ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ [الواقعة: ٣]وهذا التأويل مناسب لما قبل هذه الآية؛ لأنه تعالى لما ذكر حال من يؤتى كتابه وراء ظهره، أنه كان في أهله مسرورًا، وكان يظن أن لن يحور أخبر الله أنه يحور، ثم أقسم على الناس أنهم يركبون في الآخرة طبقًا عن طبق، أي حالاً بعد حالهم في الدنيا. **ورابعها:** أن يكون المعنى: لتركبن سنة الأولين ممن كان قبلكم في التكذيب بالنبوة والقيامة.

وأما القراءة بنصب الياء ففيها قولان: **الأول:** قول من قال: إنه خطاب مع محمد ﷺ وعلى هذا التقدير ذكروا وجهين: **أحدهما:** أن يكون ذلك بشارة للنبي ﷺ بالظفر والغلبة على المشركين المكذبين بالبعث، كأنه يقول: أقسم يا محمد لنركبن حالاً بعد حال حتى يُختم لك بجميل العافية فلا يُحزنك تكذيبهم وتماديهم في كفرهم. وفي هذا الوجه احتمال آخر يقرب مما ذكرنا، وهو أن يكون المعنى أنه يركب حال ظفر وغلبة بعد حال خوف وشدة. واحتمال ثالث: وهو أن يكون المعنى أن الله تعالى يبدله بالمشركين أنصارًا من المسلمين، ويكون مجاز ذلك من قولهم طبقات الناس، وقد يصلح هذا التأويل على قراءة من قرأ بضم الباء، كأنه خطاب للمسلمين بتعريف تنقل الأحوال بهم وتصييرهم إلى الظفر بعدوهم بعد الشدة التي يلقونها منهم، كما قال: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٨٦]الآية. **وثانيهما:** أن يكون ذلك بشارة لمحمد ﷺ بصعوده إلى السماء لمشاهدة ملكوتها، وإجلال الملائكة إياه فيها، والمعنى لتركبَن يا محمد السموات طبقًا عن طبق، وقد قال تعالى: ﴿سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾ [الملك: ٣]وقد فعل الله ذلك ليلة الإسراء، وهذا الوجه مروي عن ابن عباس وابن مسعود. **وثالثها:** لتركبن يا محمد درجة ورتبة بعد رتبة في القرب من الله تعالى. **القول الثاني في هذه القراءة:** أن هذه الآية في السماء وتغيرها من حال إلى حال، والمعنى لتركبن السماء يوم القيامة حالة بعد حالة، وذلك لأنها أولاً تنشق كما قال: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ [الإنشقاق: ١]ثم تنفطر كما قال: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ﴾ [الانفطار: ١]ثم تصير ﴿وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ [الرحمن: ٣٧]وتارة: ﴿كَالْمُهْلِ﴾ [المعارج: ٨]على ما ذكر الله تعالى هذه الأشياء في آيات من القرآن، فكأنه تعالى لما ذكر في أول السورة أنها تنشق أقسم في آخر السورة أنها تنتقل من أحوال إلى أحوال، وهذا الوجه مروي عن ابن مسعود.

المسألة الثالثة: قوله تعالى: ﴿عَن طَبَقٍ﴾ أي بعد طبق، كقول الشاعر:

مَا زِلْتُ أَقْطَعُ مَنْهَلاً عَنْ مَنْهَلٍ حَتَّى أَنَخْتُ بِبَابِ عَبْدِ الْوَاحِدِ

ووجه هذا أن الإنسان إذا صار من شيء إلى شيء آخر فقد صار إلى الثاني بعد الأول، فصلحت بعد وعن معاقبة، وأيضًا فلفظة (عن) تفيد البعد والمجاوزة فكانت مشابهة للفظة بعد.

أما قوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، ففيه مسألتان:

المسألة الأولى: الأقرب أن المراد ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بصحة البعث والقيامة، لأنه تعالى حكى عن الكافر ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾[الانشقاق: ١٤] ثم أفتى سبحانه بأنه يحور، فلما قال بعد ذلك: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ دل على أن المراد: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بالبعث والقيامة، ثم اعلم أن قوله: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ استفهام بمعنى الإنكار، وهذا إنما يحسن عند ظهور الحجة وزوال الشبهات، الأمر ههنا كذلك، وذلك لأنه سبحانه أقسم بتغييرات واقعة في الأفلاك والعناصر، فإن الشفق حالة مخالفة لما قبلها وهو ضوء النهار، ولِما بعدها وهو ظلمة الليل، وكذا قوله: ﴿وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ فإنه يدل على حدوث ظلمة بعد نور، وعلى تغير أحوال الحيوانات من اليقظة إلى النوم، وكذا قوله: ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ﴾ فإنه يدل على حصول كمال القمر بعد أن كان ناقصًا، فإنه تعالى أقسم بهذه الأحوال المتغيرة على تغير أحوال الخلق، وهذا يدل قطعًا على صحة القول بالبعث؛ لأن القادر على تغيير الأجرام العلوية والسفلية من حال إلى حال وصفة إلى صفة بحسب المصالح - لا بد وأن يكون في نفسه قادرًا على جميع الممكنات عالمًا بجميع المعلومات، ومَن كان كذلك كان لا محالة قادرًا على البعث والقيامة، فلما كان ما قبل هذه الآية كالدلالة العقلية القاطعة على صحة البعث والقيامة، لا جرم قال على سبيل الاستبعاد: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

المسألة الثانية: قال القاضي: لا يجوز أن يقول الحكيم فيمن كان عاجزًا عن الإيمان: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ فلما قال ذلك دل على كونهم قادرين، وهذا يقتضي أن تكون الاستطاعة قبل الفعل، وأن يكونوا موجدين لأفعالهم، وأن لا يكون تعالى خالقًا للكفر فيهم. فهذه الآية من المحكمات التي لا احتمال فيها البتة، وجوابه قد مر غير مرة.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۝٢١﴾

ففيه مسائل:

المسألة الأولى: أنهم أرباب الفصاحة والبلاغة، فعند سماعهم القرآن لا بد وأن يعلموا كونه معجزًا، وإذا علموا صحة نبوة محمد ﷺ ووجوب طاعته في الأوامر والنواهي، فلا جرم استبعد الله منهم عند سماع القرآن ترك السجود والطاعة.

المسألة الثانية: قال ابن عباس والحسن وعطاء والكلبي ومقاتل: المراد من السجود الصلاة. وقال أبو مسلم: الخضوع والاستكانة. وقال آخرون: بل المراد نفس السجود عند آيات مخصوصة، وهذه الآية منها.

المسألة الثالثة: روي أنه عليه السلام قرأ ذات يوم: ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾[العلق: ١٩] فسجد هو ومن

معه من المؤمنين، وقريش تصفق فوق رؤوسهم وتصفر، فنزلت هذه الآية[١] واحتج أبو حنيفة على وجوب السجدة بهذا من وجهين: **الأول:** أن فعله ﷺ يقتضي الوجوب لقوله تعالى: ﴿وَٱتَّبِعُوهُ﴾ **والثاني:** أن الله تعالى ذم من يسمعه فلا يسجد، وحصول الذم عند الترك يدل على الوجوب.

المسألة الرابعة: مذهب ابن عباس أنه ليس في المفصل سجدة[٢]، وعن أبي هريرة أنه سجد ههنا، وقال: والله ما سجدت فيها إلا بعد أن رأيت رسول الله ﷺ يسجد فيها[٣]. وعن أنس: صليت خلف أبي بكر وعمر وعثمان، فسجدوا. وعن الحسن: هي غير واجبة.

قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ ۝٢٢ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ۝٢٣ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٢٤ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍۭ ۝٢٥﴾

أما قوله: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ فالمعنى أن الدلائل الموجبة للإيمان وإن كانت جلية ظاهرة، لكن الكفار يكذبون بها إما لتقليد الأسلاف، وإما للحسد، وإما للخوف من أنهم لو أظهروا الإيمان لفاتتهم مناصب الدنيا ومنافعها.

أما قوله: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ فأصل الكلمة من الوعاء، فيقال: أوعيت الشيء، أي جعلته في وعاء، كما قال: ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ﴾[المعارج: ١٨] والله أعلم بما يجمعون في صدورهم من الشرك والتكذيب، فهو مجازيهم عليه في الدنيا والآخرة.

ثم قال تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ استحقوه على تكذيبهم وكفرهم.

أما قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍۭ﴾ ففيه قولان: قال: صاحب (الكشاف): الاستثناء منقطع. وقال الأكثرون: معناه إلا من تاب منهم فإنهم وإن كانوا في الحال كفارًا إلا أنهم متى تابوا وآمنوا وعملوا الصالحات، فلهم أجر وهو الثواب العظيم.

وفي معنى: ﴿غَيْرُ مَمْنُونٍۭ﴾ وجوه: **أحدها:** أن ذلك الثواب يصل إليهم بلا من ولا أذى. **وثانيها:** من غير انقطاع. **وثالثها:** من غير تنغيص. **ورابعها:** من غير نقصان. والأولى أن يُحمل اللفظ على الكل، لأن من شرط الثواب حصول الكل، فكأنه تعالى وعدهم بأجر خالص من الشوائب دائم لا انقطاع فيه ولا نقص ولا بخس، وهذا نهاية الوعد فصار ذلك ترغيبًا في العبادات، كما أن الذي تقدم هو زجر عن المعاصي والله سبحانه وتعالى أعلم، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) لم أجده بهذا اللفظ.

(٢) إسناده ضعيف: أخرجه أبو داود في كتاب (الصلاة) باب (من لم ير السجود في المفصل) (٢/ ٦١٠) حديث رقم (١٤٠٣) وفي إسناده أبو قدامة وهو الحارث بن عبيد الإيادي قال الحافظ في التقريب: صدوق يخطئ. وفي التهذيب: قال أحمد: مضطرب الحديث. وقال أبو حاتم: ليس بذاك القوي، لم يسجد في شيء من المفصل، احتج به مالك ومن وافقه على أنه لا سجود في المفصل.

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري في كتاب (الأذان) باب (الجهر في العشاء) (٢/ ٢٩٢) حديث رقم (٧٦٦) ومسلم في كتاب (المساجد ومواضع الصلاة) (١/ ١١٠/ ٤٠٧) من طريق المعتمر... به.

سورة الانشقاق

مكية في قول الجميع، وهي خمس وعشرون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ۝٣ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۝٤ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٥﴾

قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾ أي: انْصَدَعَتْ[٣] وتَفَطَّرَتْ بالغَمام، والغَمامُ مثلُ السَّحاب الأبيض. وكذا رَوَى أبو صالح عن ابن عباس. وروي عن عليٍّ عليه السلامُ قال: تُشَقُّ من المَجَرَّة[٤]. وقال: المَجرَّةُ بابُ السماء[٥]. وهذا من أشراطِ الساعةِ

(٣) في (د) و(ظ): تصدعت.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم، كما في الدر المنثور ٦/ ٣٢٩.

(٥) أخرجه الطبراني (١٠٥٩١)، وأبو الشيخ في العظمة (٧٩٦) عن ابن عباس بلفظ: المجرة باب السماء الذي تنشق منه.

وعلاماتها.

﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ أي: سمِعتْ، وحُقَّ لها أن تسمع. رُوي معناه عن ابن عباس ومجاهدٍ وغيرهما[١]؛ ومنه قولُه ﷺ: «ما أَذِنَ الله لشيءٍ كَأَذَنِه لنبيٍّ يتغنَّى بالقرآن»[٢] أي: ما استمع الله لشيءٍ؛ قال الشاعر:

صُمٌّ إذا سمِعوا خيراً ذُكِرْتُ بِه وإنْ ذُكرتُ بسوءٍ عندهم أَذِنوا[٣]

أي: سمعوا: وقال قَعْنَب بنُ أمِّ صاحب:

إنْ يأذَنوا رِيبةً طاروا بها فرحاً وما هُمُ أَذِنوا من صالحٍ دَفَنُوا[٤]

وقيل: المعنى: وحقَّق الله عليها الاستماعَ لأمره بالانشقاق. وقال الضحاك: حُقَّتْ: أَطاعَتْ[٥]، وحُقَّ لها أن تُطيعَ ربَّها؛ لأنه خَلَقَها؛ يقال: فلانٌ مَحقوقٌ بكذا. وطاعةُ السَّماء: بمعنى أنها لا تمتنعُ مما أراد الله بها، ولا يَبْعدُ خَلْقُ الحياةِ فيها حتى تُطيعَ وتُجيبَ. وقال قتادة: حُقَّ لها أن تفعل ذلك؛ ومنه قولُ كثير:

فإن تَكُنِ العُتْبَى فأهلاً ومَرْحباً وحُقَّتْ لها العُتْبَى لدينا وقَلَّتِ[٦]

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ أي: بُسِطَت ودُكَّتْ جِبالُها. قال النبيُّ ﷺ: «تُمدُّ

---

(١) تفسير الطبري ٢٤/ ٢٣١ - ٢٣٢.

(٢) أخرجه أحمد (٧٦٧٠)، والبخاري (٥٠٢٣)، ومسلم (٧٩٢) من حديث أبي هريرة ﷺ، وسلف ١/ ٢٨.

(٣) البيت لقعنب بن أم صاحب، كما في عيون الأخبار ٣/ ٨٤، وشرح ديوان الحماسة للتبريزي ٤/ ١٢، وبهجة المجالس ١/ ٧٢٤، ومختارات ابن الشجري ص ٧، واللسان (أذن) و(شور)، وهو دون نسبة في تفسير الطبري ٢٤/ ٢٣٠، ومعاني القرآن للزجاج ٥/ ٣٠٣.

(٤) عيون الأخبار ٣/ ٨٤، وشرح ديوان الحماسة للتبريزي ٤/ ١٢، وللمرزوقي ٣/ ١٤٥٠، وبهجة المجالس ١/ ٧٢٥، ومختارات ابن الشجري ص ٧، واللسان (أذن) و(شور)، وهو في هذه المصادر برواية:

إن يسمعوا ريبة طاروا بها فرحاً مني وما سمعوا من صالح دفنوا

(٥) أخرجه الطبري ٢٤/ ٢٣٢ بلفظ: ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ قال: سمعت وأطاعت.

(٦) ديوان كثير ص٧٩، والنكت والعيون ٦/ ٢٣٤، والكلام منه.

مَدَّ الأديم»[١] لأنَّ الأديم إذا مدَّ زال كُلُّ انثناءٍ فيه وامتدَّ واسْتَوَى. قال[٢] ابنُ عباسٍ وابنُ مسعود: ويُزادُ في سَعَتها كذا وكذا؛ لوقوفِ الخلائقِ عليها للحساب، حتى لا يكون لأحدٍ من البشر إلَّا موضعُ قدمه، لكَثْرةِ الخلائقِ فيها. وقد مضى في سورة «إبراهيم» أنَّ الأرض تبدَّلُ بأرضٍ أخرى[٣]، وهي السَّاهرةُ في قولِ ابنِ عباسٍ على ما تقدَّم عنه[٤].

﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ أي: أَخرجَتْ أمواتَها، وتخلَّتْ منهم[٥]. وقال ابن جُبَير: أَلْقَتْ ما في بطنها من الموتى، وتخلَّتْ ممَّن على ظَهْرِها من الأحياء[٦].

وقيل: أَلْقَتْ ما في بطنها من كنوزها ومَعادِنها، وتخلَّت منها، أي: خلا جوفُها، فليس في بطنها شيءٌ، وذلك يُؤْذِنُ بعِظَمِ الأمر، كما تُلْقي الحاملُ ما في بَطْنها عند الشدَّة.

وقيل: تَخَلَّت مما على ظهرها من جبالها وبحارها.

وقيل: أَلْقَتْ ما استُودِعتْ، وتَخلَّتْ ممَّا استُحْفِظَتْ؛ لأنَّ الله تعالى استَوْدَعَهَا عِبَادَه أحياءً وأمواتاً، واستحفظها بلادَه مزارعةً وأقواتاً[٧].

﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا﴾ أي: في إلقاءِ مَوْتاها ﴿وَحُقَّتْ﴾ أي: وحُقَّ لها أنْ تَسْمعَ أمرَه.

واختُلف في جوابِ «إذا»؛ فقال الفرَّاء[٨]: «أذِنت»، والواوُ زائدةٌ، وكذلك

---

(١) سلف ١٢/ ١٦٨ .

(٢) في (ي): وقاله، وفي (د) و(ظ): وقال، وينظر ما سلف ١٢/ ١٦٨ .

(٣) ١٢/ ١٦٩ .

(٤) ص٥١ من هذا الجزء.

(٥) في (م): عنهم.

(٦) النكت والعيون ٦/ ٢٣٥ .

(٧) النكت والعيون ٦/ ٢٣٥ ، وفيه: مزارع وأقواتاً.

(٨) في معاني القرآن ٣/ ٢٤٦ .

«وألْقَتْ». ابن الأنباريّ: قال بعضُ المفسِّرين: جوابُ «إذا السماء انشقَّتْ»: «أذِنَتْ»، وزَعَم أنَّ الواوَ مُقْحمَةٌ، وهذا غَلَطٌ؛ لأنَّ العرب لا تُقْحِمُ الواوَ إلَّا مع «حتى إذا» كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧٣] ومع «لمَّا» كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ۝ وَنَٰدَيْنَٰهُ﴾ [الصافات: ١٠٣-١٠٤] معناه: «ناديناهُ»، والواوُ لا تُقْحمَ مع غيرِ هذين. وقيل: الجوابُ فاءٌ مُضْمَرةٌ، كأنه قال: «إذا السماء انشقَّت» فيا أيها الإنسانُ إنَّك كادح[١].

وقيل: جوابُها ما دلَّ عليه «فمُلاقِيهِ»، أي: إذا السماء انشقَّتْ لاقَى الإنسانُ كَدْحَه[٢].

وقيل: فيه تقديمٌ وتأخير، أي: «يا أيها الإنسانُ إنك كادحٌ إلى ربِّك كَدْحاً فملاقِيهِ» «إذا السماء انشقَّت». قاله المبرد[٣]. وعنه أيضاً: الجوابُ: «فأمَّا مَن أوتيَ كتابه بيمينه» وهو قولُ الكسائيّ[٤]؛ أي: إذا السماء انشقَّتْ فَمَن أُوتيَ كتابه بيمينه فحُكْمُه كذا. قال أبو جعفر النحَّاس: وهذا أصحُّ ما قيل فيه وأَحْسَنُه.

وقيل: هو بمعنى: اذْكُرْ إذا السماءُ انشقَّتْ[٥].

وقيل: الجوابُ محذوفٌ لِعلْم المخاطَبينَ به، أي: إذا كانت هذه الأشياءُ عَلِمَ المكذِّبون بالبعث ضلالتَهم وخُسْرانَهم.

وقيل: تقدَّم منهم سؤالٌ عن وقتِ القيامة، فقيل لهم: إذا ظَهَرَتْ أشراطُها كانت القيامةُ، فرأيتم عاقبةَ تكذيبِكم بها. والقرآنُ كالآيةِ الواحدةِ في دلالةِ البعضِ على البعض.

---

(١) إيضاح الوقف والابتداء ٢/ ٩٧١ .

(٢) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٠٣ .

(٣) زاد المسير ٩/ ٦٣ .

(٤) ذكره عنه الرازي ٣١/ ١٠٥ .

(٥) ذكره النحاس في إعراب القرآن ٥/ ١٨٥ وقال: فعلى هذا لا تحتاج إلى جواب.

وعن الحسن: إنَّ قوله: «إذا السماءُ انشقَّتْ» قَسَمٌ. والجمهورُ على خلافِ قوله، من أنه خبرٌ وليس بقَسَمٍ.

قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَـٰقِيهِ ۝٦ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩﴾

قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا﴾ المرادُ بالإنسان الجنسُ، أي: يا ابنَ آدمَ. وكذا روى سعيدٌ عن قتادةَ: يا ابنَ آدمَ، إنَّ كَدْحَكَ لضعيفٌ، فَمَن استطاع أن يكونَ كَدْحُه في طاعة الله فليفعلْ، ولا قوَّةَ إلَّا بالله[1].

وقيل: هو مُعَيَّنٌ؛ قال مقاتل: يعني الأسودَ بنَ عبد الأسد. ويقال: يعني أُبيَّ بنَ خَلفَ. ويقال: يعني جميعَ الكفَّارِ، يعني: يا أيها الكافرُ إنك كادحٌ. والكَدْحُ في كلام العرب: العملُ والكَسْبُ؛ قال ابن مُقْبِلٍ:

وما الدَّهْرُ إلَّا تارَتانِ فمنهما أَموتُ وأُخرى أبتغي العيشَ أَكْدَحُ[2]

وقال آخرُ:

ومَضَتْ بشاشةُ كلِّ عيشٍ صالِحٍ وبَقِيتُ أَكْدَحُ لِلحياةِ وأَنصبُ[3]

أي: أَعْملُ. وروى الضحَّاكُ عن ابن عباس: «إنك كادِحٌ» أي: راجعٌ، «إلى ربِّك كدحاً» أي: رجوعاً لا مَحالةَ، «فملاقِيهِ» أي: مُلاقٍ ربَّك. وقيل: مُلاقٍ عَملَك. القُتَبيُّ[4]: «إنك كادحٌ» أي: عامِلٌ ناصِبٌ في معيشتك إلى لقاء ربك.

والملاقاةُ بمعنى اللقاءِ، أي: تَلْقَى ربَّك بعملك. وقيل: أي: تُلاقي كتابَ عملك؛ لأنَّ العمل قد انْقَضَى ولهذا قال: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾[5].

---

(١) أخرجه الطبري ٢٤/ ٢٣٥ .

(٢) ديوانه ص٢٤ ، وسلف ١٦/ ٤١٤ .

(٣) النكت والعيون ٦/ ٢٣٥ .

(٤) في تفسير غريب القرآن ص ٥٢١ .

(٥) تفسير الرازي ٣١/ ١٠٥ .

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ وهو المؤمنُ ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ لا مناقشةَ فيه. كذا روي عن رسول الله ﷺ من حديث عائشةَ قالت: قال رسول الله ﷺ: «مَن حُوسِبَ يومَ القيامةِ عُذِّب» قالت: فقلتُ: يا رسولَ الله: أليس قد قال الله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ. فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ فقال: «ليس ذاكِ الحسابُ، إنَّما ذلك العَرْضُ، مَنْ نُوقِشَ الحسابَ يومَ القيامةِ عُذِّب» أخرجه البخاريُّ ومسلم والترمذيّ، وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ[(١)].

﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾ أزواجِه في الجنة من الحور العين ﴿مَسْرُورًا﴾ أي: مُغْتبطاً قريرَ العين.

ويقال: إنها نزلت في أبي سلمةَ بن عبد الأسد، وهو أوّلُ مَن هاجَرَ من مكةَ إلى المدينة.

وقيل: إلى أهله الذين كانوا له في الدنيا، ليُخْبِرَهم بخَلاصِه وسلامته. والأوّلُ قولُ قتادة؛ أي: إلى أهله الذين قد أعدَّهم الله له في الجنة[(٢)].

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ﴾ نزلتْ في الأسود بنِ عبد الأسد أخي أبي سلمةَ؛ قاله ابنُ عباس. ثم هي عامةٌ في كلِّ مؤمنٍ وكافرٍ. قال ابن عباس: يمدُّ يدَه اليمنى ليأخذَ كتابه، فيجذبُه مَلَكٌ فيخلعُ يمينه، فيأخذُ كتابه بشماله من وراء ظهره. وقال قتادةُ ومقاتلٌ: تُفَكُّ ألواحُ صدرِه وعظامُه، ثم تَدْخُلُ يدُه وتَخْرجُ من ظهره، فيأخذُ كتابَه كذلك.

﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا﴾ أي: بالهلاك، فيقول: يا وَيْلاه، يا ثُبوراه. ﴿وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾

---

(١) سنن الترمذي (٢٤٢٦) و(٣٣٣٧)، وهو عند البخاري (٤٩٣٩)، ومسلم (٢٨٧٦)، وسلف ١٧/ ٢٩٨ .

(٢) النكت والعيون ٦/ ٢٣٦ ، وأخرجه بنحوه الطبري ٢٤/ ٢٣٩ .

أي: ويدخُلُ النارَ حتى يَصْلَى بحرِّها.

وقرأ الحِرْمِيَّانِ وابنُ عامرٍ والكسائيُّ: ﴿ويُصَلَّى﴾ بضم الياء وفتحِ الصَّاد وتشديدِ اللَّام، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ [الحاقة: ٣١] وقوله: ﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ [الواقعة: ٩٤]. الباقون: «ويَصْلَى» بفتح الياءِ مخفَّفاً[١]، فِعْلٌ لازمٌ غيرُ متعدٍّ[٢]؛ لقوله: ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ١٦٣] وقوله: ﴿يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ [الأعلى: ١٢] وقوله: ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا﴾ [المطففين: ١٦].

وقراءةٌ ثالثةٌ رواها أبانٌ عن عاصمٍ، وخارجةُ عن نافعٍ، وإسماعيلُ المكِّيُّ عن ابن كثير: «ويُصْلَى» بضمِّ الياءِ وإسكانِ الصَّادِ وفتحِ اللَّام مخفَّفاً[٣]، كما قُرئ: ﴿وسَيُصْلَون﴾ [النساء: ١٠] بضمِّ الياء[٤]، وكذلك في «الغاشية» قد قُرئ أيضاً: ﴿تُصْلَى ناراً﴾ [الآية: ٤][٥]. وهما لغتان: صلَّى وأَصْلَى، كقوله: نزَّل وأَنْزَل.

﴿إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ﴾ أي: في الدنيا ﴿مَسْرُورًا﴾ قال ابن زيد: وَصَفَ الله أهلَ الجنةِ بالمَخافةِ والحزنِ والبكاءِ والشفقةِ في الدنيا، فأَعْقَبهم به النعيمَ والسرورَ في الآخرة، وقرأ قولَ الله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ . فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾ [الطور: ٢٦-٢٧]. قال: ووصَفَ أهلَ النارِ بالسرور في الدنيا والضَّحِكِ فيها والتفكُّهِ، فقال: ﴿إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾.

﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾ أي: لن يرجعَ حيًّا مبعوثًا فيحاسَب، ثم يثاب أو يُعاقَب. يقال: حارَ يحورُ: إذا رجع؛ قال لبيد:

---

(١) السبعة ص ٦٧٧، والتيسير ص ٢٢١.

(٢) ويكون نصبُ «سعيراً» على هذا بنزع الخافض، ينظر ما سلف ٦/ ٤٢٠، والدر المصون ٣/ ٥٩٥ - ٥٩٦.

(٣) القراءات الشاذة ص١٧٠.

(٤) وهي قراءة ابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر وقد سلفت ٦/ ٩١.

(٥) وهي قراءة أبي عمرو وعاصم في رواية أبي بكر، وستأتي.

وما المرءُ إلَّا كالشِّهابِ وضَوْئِهِ يحورُ رَماداً بعد إذ هو ساطِعُ[١]

وقال عِكرمةُ وداودُ بنُ أبي هند: يحورُ كلمةٌ بالحَبَشيَّة، ومعناها: يرجع[٢]. ويجوزُ أن تتَّفق الكلمتان فإنهما كلمةُ اشتقاقٍ. ومنه: الخبزُ الحُوَّارَى[٣]؛ لأنه يرجع إلى البياض.

وقال ابن عباس: ما كنتُ أدري ما يحور، حتى سمعتُ أعرابيةً تدعو بُنيةً لها: حُوري، أي: ارجعي إليّ[٤]. فالحَوْرُ في كلام العرب: الرجوعُ، ومنه قولُه عليه الصلاة والسلام: «اللهمَّ إنِّي أعوذُ بك من الحَوْرِ بَعْدَ الكَوْر»[٥] يعني: من الرجوع إلى النقصان بعد الزيادة، وكذلك الحُوْرُ بالضم. وفي المثل: «حُورٌ في مَحَارَةٍ» أي: نقصان في نقصان. يُضْرَبُ للرجل إذا كان أَمْرُه يُدْبِرُ؛ قال الشاعر:

واستَعْجَلوا عن خفيفِ المَضْغِ فازْدَرِدُوا والذمُّ يَبْقَى وزادُ القومِ في حُوْرِ[٦]

والحُوْرُ أيضًا: الاسمُ من قولكِ: طحَنَتِ الطاحنةُ فما أحارتْ شيئًا، أي: ما ردَّتْ شيئاً من الدقيق. والحُوْر أيضًا: الهَلَكَةُ؛ قال الراجزُ:

في بِئرِ لا حُورٍ سَرَى وما شَعَرْ[٧]

(١) ديوان لبيد ص ١٦٩ .

(٢) النكت والعيون ٦/ ٢٣٦ ، وأخرجه عن عكرمة عبد بن حميد، كما في الدر المنثور ٦/ ٣٣٠ .

(٣) الحوَّارَى بالضم وتشديد الواو والراء مفتوحة: الدقيق الأبيض، وكلُّ ما حوِّر من الطعام، أي: بُيِّضَ. الصحاح (حور)، والمعجم الوسيط (حور).

(٤) الكشاف ٤/ ٢٣٥ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٥٨ ، وتفسير الرازي ٣١/ ١٠٨ .

(٥) أخرجه أحمد (٢٠٧٧٢)، ومسلم (١٣٤٣) والترمذي (٣٤٣٩) من حديث عبد الله سَرْجِسَ ﷺ. ووقع في صحيح مسلم والترمذي: بعد الكون. قال الترمذي: ويروى: الحور بعد الكور، وكلاهما له وجه. اهـ. وسيأتي الكلام عن الروايتين قريباً.

(٦) البيت لسبيع بن الخطيم، كما في شرح أبيات إصلاح المنطق للسيرافي ص ٢٨٨ ، واللسان (حور)، وهو دون نسبة في إصلاح المنطق ص ١٤١ ، والصحاح (حور) والكلام منه. قال السيرافي: الازدراد الابتلاع، وقوله: والذم يبقى...، يريد: الذم يبقى على الأيام، والأكل يذهب.

(٧) البيت للعجاج، وهو في ديوانه ص ٧٢ ، والصحاح (حور) والكلام منه. قال الأصمعي شارح =

قال أبو عبيدةَ: أي: في بئرِ حُوْرٍ، و«لا» زائدةٌ.

وروي: «بعد الكَوْنِ» ومعناه: من انتشارِ الأمرِ بعد تَمَامِهِ(١). وسُئِل معمرٌ عن الحَوْرِ بعد الكَوْنِ، فقال: هو الكُنْتيُّ. فقال له عبد الرزاق: وما الكُنْتيُّ؟ فقال: الرجلُ يكون صالحاً ثم يتحوَّلُ رجلَ سوءٍ(٢). قال أبو عمرو: يقال للرجل إذا شاخ: كُنْتيٌّ، كأنه نُسِبَ إلى قوله: كنتُ في شبابي كذا وكذا. قال:

فأصبحت كُنْتيًّا وأصبحتُ عاجِنًا ... وشرُّ خِصَالِ المرءِ كُنْتُ وعاجِنُ(٣)

عَجَنَ الرجلُ: إذا نَهضَ مُعْتمداً [بيديه] على الأرض من الكِبَر(٤). وقال ابن الأعرابيِّ: الكُنْتيُّ: هو الذي يقول: كنتُ شابًّا، وكنتُ شجاعًا، والكانيُّ هو الذي يقول: كان لي مالٌ وكنتُ أَهَبُ، وكان لي خيلٌ وكنتُ أَرْكَبُ(٥).

قوله تعالى: ﴿بَلَىٰٓ﴾ أي: ليس الأمرُ كما ظنَّ، بل يحورُ إلينا ويرجع. ﴿إِنَّ رَبَّهُۥ

= الديوان: يريد: في بئر حور سرى الحَرُوريُّ وما شعر.

والبيت من قصيدة في مدح عمر بن عبد الله بن معمر، وكان عبد الملك وجهه إلى أبي فديك الحروري، فقتله وأصحابه.

(١) النكت والعيون ٦/ ٢٣٦، قال النووي في شرح صحيح مسلم ٩/ ١١١: هو في معظم النسخ من صحيح مسلم: «بعد الكون» بالنون، بل لا يكاد يوجد في نسخ بلادنا إلا بالنون. اهـ. وقد رواه بعض رواة صحيح مسلم بالراء، كما ذكر القاضي عياض في إكمال المعلم ٤/ ٤٥٢، وأبو العباس في المفهم ٣/ ٤٥٥. قال النووي: معناه بالراء والنون جميعاً: الرجوع من الاستقامة أو الزيادة إلى النقص، قالوا: ورواية الراء مأخوذة من تكوير العمامة، وهو لفُّها وجَمْعها، ورواية النون مأخوذة من الكون، مصدر كان يكون كونًا: إذا وُجد واستقر.

(٢) أخرجه الخطابي في غريب الحديث ٢/ ١٩٤.

(٣) الصحاح (كون) و(عجن)، وأساس البلاغة (كون)، والتكملة للصاغاني ١/ ٣٣٦. وهو في تهذيب اللغة ١٠/ ١٤١ برواية:

وما كنت كنتيًّا ولا كنت عاجنًا ... وشر الرجال الكُنْتُنيُّ وعاجِنُ

(٤) الصحاح (عجن)، وما سلف بين حاصرتين منه.

(٥) النكت والعيون ٦/ ٢٣٦، وذكره بنحوه الأزهري في تهذيب اللغة ١٠/ ١٤١.

﴿كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا﴾ قبل أنْ يَخْلُقَه، عالماً بأنَّ مَرْجِعَه إليه. وقيل: بلَى لَيَحُورَنَّ ولَيَرْجِعَنَّ. ثم استأنف فقال: «إنَّ ربَّه كان بِهِ بصيرًا» مِن يومِ خَلَقَه إلى أنْ بَعَثَه. وقيل: عالمًا بما سبق له من الشقاء والسعادة.

قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ﴿٢١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾ أي: فأُقْسِمُ و«لا» صِلَةٌ. ﴿بِٱلشَّفَقِ﴾ أي: بالحُمْرةِ التي تكونُ عندَ مغيبِ الشمسِ حتى تأتيَ صلاةُ العشاءِ الآخِرةِ. قال أشهبُ وعبد الله ابنُ الحكم ويحيى بنُ يحيى وغيرُهم ـ كثيرٌ عددُهم ـ عن مالك: الشَّفَقُ: الحُمْرةُ التي في المغرب، فإذا ذهبت الحمرةُ فقد خَرَجْتَ من وقتِ المغرب ووَجَبتْ صلاةُ العشاءِ[١].

وروى ابنُ وهب قال: أخبرني غيرُ واحدٍ عن عليّ بنِ أبي طالب ومُعاذ بنِ جبل وعُبادةَ بنِ الصامتِ وشدَّاد بنِ أَوْسٍ وأبي هريرةَ: أنَّ الشفَقَ الحمرةُ، وبه قال مالك ابن أنس. وذَكَر غيرُ ابنُ وَهْبٍ من الصحابة: عمرَ وابنَ عمرَ وابنَ مسعودٍ وابنَ عباسٍ وأنَساً وأبا قتادةَ وجابر بنَ عبد الله وابنَ الزبير، ومن التابعين: سعيد بن جبير، وابن المسيب، وطاوس، وعبد الله بن دينار، والزهريّ، وقال به من الفقهاء: الأوزاعيُّ ومالكٌ والشافعيُّ وأبو يوسفَ وأبو ثورٍ وأبو عُبيدٍ وأحمدُ وإسحاقُ.

وقيل: هو البياض؛ رُوي ذلك عن ابن عباس وأبي هريرةَ أيضاً وعمر بنِ عبد العزيز والأوزاعيّ[٢]، وأبي حنيفةَ في إحدى الروايتين عنه، ورَوَى أسد بنُ عمرو أنه

(١) الموطأ ١/ ١٣ ، وأحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٩٨ .

(٢) تنظر أقوال الأئمة المذكورين في الأوسط ٢/ ٣٣٩ - ٣٤١ ، والتمهيد ٨/ ٩١ - ٩٢ ، وأحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٩٨ ، وزاد المسير ٩/ ٦٥ - ٦٦ . وسلف بعضها ١٩/ ١٢٢ .

رجع عنه[١]. ورُوي عن ابن عمرَ أيضًا أنه البياضُ، والاختيارُ الأولُ؛ لأنَّ أكثر الصحابةِ والتابعين والفقهاءِ عليه؛ ولأنَّ شواهدَ كلامِ العربِ والاشتقاق والسنة تشهدُ له. قال الفرَّاء[٢]: سمعتُ بعضَ العربِ يقول لثوبٍ عليه مصبوغٍ: كأنه الشَّفَقُ، وكان أحمرَ، فهذا شاهدٌ للحُمْرة، وقال الشاعر:

أحمر[٣] اللونِ كمُحْمَرِّ الشَّفَقْ

وقال آخر:

قُمْ يا غلامُ أَعِنِّي غيرَ مُرْتَبِكٍ ... على الزمانِ بِكأسٍ حَشْوُها شَفَقُ[٤]

ويقال للمَغْرة[٥]: الشَّفَق. وفي «الصحاح»: الشَّفقُ بقيةُ ضوءِ الشمسِ وحُمْرتِها في أوّل الليل إلى قريبٍ من العَتَمة. قال الخليل: الشَّفقُ: الحمرةُ، من غروبِ الشمس إلى وقتِ العشاء الآخرة، إذا ذهب قيل: غاب الشَّفَق[٦]. ثم قيل: أصلُ الكلمةِ من رِقَّةِ الشيءِ؛ يقال: شيءٌ شَفِقٌ، أي: لا تَماسُكَ له لرقَّته. وأَشْفَقَ عليه: أي: رقَّ قلبه عليه، والشَّفَقةُ: الاسمُ من الإشفاق، وهو رِقَّةُ القلب، وكذلك الشَّفَق؛ قال الشاعر:

تَهْوَى حَياتي وأَهْوَى موتَها شَفَقًا ... والموتُ أكرمُ نزَّالٍ على الحُرَمِ[٧]

فالشَّفَقُ: بقيةُ ضوءِ الشمسِ وحمرتِها، فكأنَّ تلك الرقَّةَ من ضوء الشمس. وزعم

(١) الكشاف ٤/ ٢٣٥ . وأسد بن عمرو هو أبو المنذر - وقيل: أبو عمرو - القاضي القشيري البجلي الكوفي ، سمع أبا حنيفة وتفقه عليه، توفي سنة (١٨٨هـ). الجواهر المضيَّة ١/ ٣٧٦ .

(٢) في معاني القرآن ٣/ ٢٥١ .

(٣) في (م): وأحمر، ولم نقف على البيت.

(٤) لم نقف عليه.

(٥) المَغْرة ويحرك: طين أحمر. القاموس (مغر).

(٦) الصحاح (شفق).

(٧) نسب لإسحاق بن خلف، كما في زهر الآداب ١/ ٤٨٥ ، والحماسة البصرية ١/ ٢٧٥ ، وفوات الوفيات ١/ ١٦٤ ، واللسان (شفق). قال صاحب اللسان: وقيل: هو لابن المعلى. ونسبه ابن المعتز في طبقات الشعراء ص٢٨١-٢٨٢ لمحمد بن يسير الرياشي. وهو دون نسبة في عيون الأخبار ٣/ ٩٤ ، والصحاح (شفق).

الحكماءُ أنَّ البياضَ لا يغيبُ أصلاً. وقال الخليل: صعدتُ مَنارةَ الإسكندريةِ فرمقتُ البياضَ، فرأيتُه يتردَّدُ من أفقٍ إلى أفقٍ ولم أَرَه يغيبُ[١]. وقال ابن أبي أُويس: رأيتُه يتمادَى إلى طلوعِ الفجرِ. قال علماؤنا[٢]: فلمَّا لم يتحدَّدْ وقتُه سَقَطَ اعتبارُه.

وفي «سُنَن» أبي داودَ عن النعمان بن بَشير قال: أنا أَعْلَمُكم بوقتِ صلاةِ العشاءِ الآخِرة؛ كان النبيُّ ﷺ يصلِّيها لسقوطِ القمرِ لثالثةٍ[٣]. وهذا تحديدٌ، ثم الحكمُ معلَّقٌ بأولِ الاسم. لا يقال: فينقَضُ عليكم بالفجر الأوّل، فإنَّا نقولُ: الفجرُ الأوّل لا يتعلَّقُ به حكمٌ من صلاةٍ ولا إمساكٍ؛ لأنَّ النبيَّ ﷺ بيَّن الفجرَ بقوله وفِعْلِه فقال: «وليس الفجرُ أن تقول هكذا ـ ورَفَعَ يدَه إلى فوق ـ ولكنَّ الفجرَ أن تقول هكذا». وبَسَطها، وقد مضى بيانُه في آيةِ الصيامِ من سورة البقرة[٤]، فلا معنى للإعادة.

وقال مجاهد: الشفقُ: النهارُ كلُّه، ألا تراه قال: ﴿وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ﴾[٥]. وقال عِكرمةُ: ما بقي من النهار[٦].

والشفقُ أيضاً: الرديءُ من الأشياء؛ يقال: عطاءٌ مُشَفَّقٌ، أي: مقلَّل؛ قال الكُميت:

مَلِكٌ أغَرُّ مِن الملوك تَحلَّبتْ ... للسائلين يداه غير مُشفَّقِ[٧]

---

(١) ذكره الجصاص في أحكام القرآن ٢/ ٢٧٨، وقال: وقد راعيته في البوادي في ليالي الصيف، والجوُّ نقي، والسماء مصحيةٌ، فإذا هو يغيب قبل أن يمضي من الليل ربعه بالتقريب، ومن أراد أن يعرف ذلك فليجرب حتى يتبين له غلط هذا القول.

(٢) هو ابن العربي في أحكام القرآن ٤/ ١٨٩٩.

(٣) سنن أبي داود (٤١٩)، وهو عند أحمد (١٨٤١٥)، والترمذي (١٦٥)، والنسائي في المجتبى ١/ ٢٦٤. قوله: «لسقوط القمر» أي: وقت غروبه أو سقوطه إلى الغروب «لثالثة» أي: في ليلة ثالثة من الشهر. تحفة الأحوذي ١/ ٥٠٧.

(٤) ٣/ ١٩٣.

(٥) أحكام القرآن للكيا الطبري ٣/ ٤٢٨، وأخرجه الطبري ٢٤/ ٢٤٤ دون قوله: ألا تراه...

(٦) تفسير البغوي ٤/ ٤٦٤.

(٧) ديوان الكميت ص ٢٤٨، والصحاح (شفق) والكلام منه.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ﴾ أي: جَمعَ وضمَّ ولفَّ، وأصلُه من سَواد[١] السلطانِ وغَضَبِه؛ فلولا أنه خرج إلى العباد من بابِ الرحمةِ ما تَمالك العبادُ لمجيئه، ولكن خرج من باب الرحمة فمزِج بها، فسَكَنَ الخَلْقُ إليه، ثم ابْذَعَرُّوا[٢] والْتفُّوا وانْقَبَضوا، ورجع كلٌّ إلى مأواه فسَكَن فيه مِن هَوْلِه وحشاً، وهو قولُه تعالى: ﴿وَمِن رَّحۡمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ﴾ أي: بالليل ﴿وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ [القصص: ٧٣] أي: بالنهار، على ما تقدَّم. فالليلُ يَجْمعُ ويضمُّ ما كان منتشراً بالنهار في تَصَرُّفه. هذا معنى قولِ ابنِ عباسٍ ومجاهدٍ ومقاتلٍ وغيرهم[٣]؛ قال ضابئ بنُ الحارث البُرْجُميُّ:

فإنِّي وإياكُمْ وشوقًا إليكُمُ كقابِضِ ماءٍ لم تَسِقْهُ أنامِلُهْ[٤]

يقول: ليس في يدي من ذلك شيءٌ، كما أنه ليس في يدِ القابضِ على الماء شيءٌ. فإذا جلَّل الليلُ الجبالَ والأشجارَ والبحارَ والأرضَ فاجتمعت له، فقد وَسَقَها[٥]. والوَسْقُ: ضَمُّكَ الشيءَ بعضَه إلى بعضٍ، تقول: وَسَقْتُه أَسِقُه وَسْقًا. ومنه قيل للطعام الكثيرِ المجتمِع: وَسْقٌ، وهو ستُّونَ صاعاً. وطعامٌ مُوْسَق، أي: مجموع. وإبلٌ مُسْتَوْسِقةٌ، أي: مُجتمِعةٌ؛ قال الراجز:

إنَّ لنا قَلائِصاً حَقَائِقا مُسْتَوْسقاتٍ لو يَجِدْنَ سائِقا[٦]

---

(١) في (م): سورة.

(٢) أي: فرُّوا وجفلوا. تاج العروس (بذعر).

(٣) تفسير الطبري ٢٤/ ٢٤٥ - ٢٤٧.

(٤) الصحاح (وسق)، والمستقصى ٢/ ٢٠٩، والخزانة ٩/ ٣٢٣.

(٥) الصحاح (وسق).

(٦) نسبهما صاحب اللسان (وسق) للعجاج، وليسا في ديوانه، وهما بلا نسبة في الكامل ٣/ ١١٤٥، والفاضل للمبرِّد ص١٠، والثاني في مجاز القرآن ص ٢٩١، وتفسير الطبري ٢٤/ ٢٤٥. القلائص جمع قَلُوص، وهي الناقة الشابة. والحقائق جمع حِقَّة، وهي من الإبل ما دخل في السنة الرابعة إلى آخرها، سمي بذلك لأنه استحق الركوب والتحميل. النهاية (قلص) و(حقق).

وقال عِكرمةُ: «وما وَسَق» أي: وما ساق من شيءٍ إلى حيث يَأوي[١]، فالوَسْقُ بمعنى الطَّرْد، ومنه قيل للطريدة من الإبل والغنم والحمر: وسِيقة، قال الشاعر:

كما قافَ آثارَ الوسِيقةِ قائِفُ[٢]

وعن ابن عباس: «وما وَسَق»، أي: وما جَنَّ وسَتر[٣]. وعنه أيضاً: وما حَمَل. وكلُّ شيءٍ حَملْتَه فقد وَسَقْتَه، والعربُ تقول: لا أفعلُه ما وَسَقَتْ عيني الماءَ، أي: حَمَلَتْه. ووسَقَتِ الناقةُ تَسِقُ وَسْقًا، أي: حَمَلَتْ وأَغْلَقتْ رَحِمَها على الماء، فهي ناقةٌ واسِقٌ، ونُوْقٌ وِسَاقٌ، مثل: نائِم ونيام، وصاحِب وصِحاب، قال بشر بن أبي خازم:

أَلَظَّ بِهِنَّ يَحْدوهُنَّ حتى تَبَيَّنَتِ الحِيالُ مِن الوِساقِ[٤]

ومَواسيقُ[٥] أيضًا. وأَوْسَقْتُ البعيرَ: حَمَّلْته حِمْلَه. وأوسَقَتِ النخلةُ: كَثُر حملُها[٦].

وقال يمان والضحاك ومقاتل بن سليمان: حَمَلَ من الظُّلْمةِ. قال مقاتل: أو حَمَلَ من الكواكب. القشيريُّ: ومعنى حَمَل: ضمَّ وجمع، والليلُ يجلِّلُ بظُلْمتِه كلَّ شيءٍ،

(١) أخرجه الطبري ٢٤/٢٤٨ .

(٢) وصدره: كذبتُ عليك لا تزال تقوفني. والبيت للأسود بن يعفر، كما في شرح أبيات إصلاح المنطق ص ٥٠٥ ، ونسب للقطامي كما في اللسان (قوف). وهو بلا نسبة في إصلاح المنطق ص ٣٢٤ ، والصحاح (وسق)، واللسان (كذب) وفيه: معنى كذب عليكم معنى الإغراء، أي: عليكم به. فقوله كذبت عليك، إنما أغراه بنفسه، أي: عليك بي. قال السيرافي: يهجو بذلك تولباً أحد بني معاوية بن مالك، وقافه يقوفه: إذا اتَّبعه. يقول: عليك بي فاتبعني كما تُتَّبعُ آثار الطريدة إذا أُخذت، فإنك لا تضيرني بذلك. اهـ. والطريدة: ما سرق من الإبل. القاموس (طرد).

(٣) النكت والعيون ٦/٢٣٧ .

(٤) الصحاح (وسق) و(لظظ)، والبيت في ديوان بشر ص ١٧٨ برواية: تبيَّن حُوْلهن من الوساق. والحيال والحُوْل جمع حائل، وهي الناقة التي حُمل عليها فلم تلقح. القاموس (حول). وقوله: ألظ، أي: ألحَّ، وفي الصحاح (لظظ): الإلظاظ: الإلحاح.

(٥) في (ي) و(ظ): ومواسق، وكلاهما صواب، يقال: نوق مواسيق ومواسق، وهو جمع على غير قياس. الصحاح (وسق).

(٦) الصحاح (وسق).

فإذا جلَّلها فقد وَسَقَها، ويكونُ هذا القَسَمُ قسماً بجميع المخلوقات؛ لاشتمالِ الليلِ عليها، كقوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ . وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ﴾ [الحاقة: ٣٨-٣٩].

وقال ابن جُبير: «وما وَسَق» أي: وما عُمِلَ فيه[١]. يعني التهجُّدَ والاستغفارَ بالأسحار، قال الشاعر:

ويومًا ترانا صالحينِ وتارةً تقومُ بنا كالواسِقِ المتلَبِّبِ

أي: كالعامل[٢].

قوله تعالى: ﴿وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ﴾ أي: تمَّ واجْتَمَعَ واسْتَوَى. قال الحسن: اتَّسق، أي: امْتَلأَ واجْتَمع. ابن عباس: اسْتَوَى. قتادةُ: استدار[٣]. الفرَّاءُ: اتِّساقُه: امتلاؤه واستواؤه لياليَ البدر، وهو افتعالٌ من الوَسْقِ الذي هو الجمع[٤]، يقال: وَسَقْتُه فاتَّسَقَ، كما يقال: وَصَلْتُه فاتَّصلَ، ويقال: أمرُ فلانٍ مُتَّسِقٌ، أي: مُجتمِعٌ على الصلاح مُنْتظِمٌ. ويقال: اتَّسقَ الشيءُ: إذا تتابع.

﴿لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ قرأ عمرُ وابنُ مسعودٍ وابنُ عباسٍ وأبو العاليةِ ومسروقٌ وأبو وائلٍ ومجاهدٌ والنخعيُّ والشعبيُّ وابنُ كثيرٍ وحمزةُ والكسائيُّ: «لَتَرْكَبَنَّ» بفتح الباء[٥]، خطاباً للنبيِّ ﷺ، أي: لتركَبَنَّ يا محمدُ حالاً بَعْدَ حالٍ؛ قاله ابن عباس[٦]. الشعبيُّ: لتركَبَنَّ يا محمدُ سماءً بعد سماءٍ، ودرجةً بعد درجةٍ، ورُتبةً بعد رتبةٍ، في

(١) النكت والعيون ٦/ ٢٣٧ ، وأخرجه عبد بن حميد، كما في الدر المنثور ٦/ ٣٣٠ .

(٢) النكت والعيون ٦/ ٢٣٧ ، وذكر البيت أيضاً صاحب اللسان (وسق).

(٣) أخرج أقوالهم الطبري ٢٤/ ٢٤٩ - ٢٥٠ ، وقول قتادة أخرجه أيضاً عبد الرزاق ٢/ ٣٥٨ .

(٤) الوسيط ٤/ ٤٥٥ ، وقول الفراء في معاني القرآن ٣/ ٢٥١ : اتساقه: امتلاؤه ثلاث عشرة إلى ست عشرة.

(٥) السبعة ص ٦٧٧ ، والتيسير ص ٢٢١ عن ابن كثير وحمزة والكسائي. وذكرها عن عمر وابن مسعود وابن عباس الطبري ٢٤/ ٢٥٠ .

(٦) أخرجه البخاري (٤٩٤٠)، والطبري ٢٤/ ٢٥١ .

القربةِ من الله تعالى[١].

ابن مسعود: لَتَرْكَبَنَّ السماءُ حالاً بعد حالٍ، يعني حالاتها التي وَصَفَها الله تعالى بها؛ من الانشِقاق والطَّيِّ، وكونها مرةً كالمُهلِ ومرةً كالدِّهانِ[٢]. وعن إبراهيم عن عبد الله: «طبقاً عن طبقٍ» قال: السماءُ تقلَّبُ حالاً بعد حال. قال: تكونُ وردةً كالدِّهانِ، وتكونُ كالمهل[٣].

وقيل: أي: لتركَبَنَّ أيها الإنسانُ حالاً بعدَ حالٍ، من كَوْنِكَ نطفةً ثم عَلَقةً ثم مضغةً، ثم حيًّا وميتاً وغنيًّا وفقيرًا. فالخطابُ للإنسان المذكورِ في قوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ﴾ وهو اسمٌ للجنس، ومعناه الناس.

وقرأ الباقون: «لتركَبُنَّ» بضمِّ الباءِ، خطاباً للناس، واختاره أبو عُبيد وأبو حاتم، قال: لأنَّ المعنى بالناسِ أشبهُ منه بالنبيِّ ﷺ، لما ذكر قبل هذه الآية: فَمَن أُوتي كتابه بيمينه ومَن أُوتي كتابه بشماله. أي: لتركُبنَّ حالاً بعد حالٍ من شدائد القيامة. أو لتركَبُنَّ سُنَّةَ مَن كان قَبْلَكم في التكذيب والاختلافِ[٤] على الأنبياء.

قلت: وكلُّه مُرادٌ، وقد جاءتْ بذلك أحاديثُ، فروى أبو نعيم الحافظُ عن أبي جعفر محمد بنِ علي[٥] عن جابرٍ ﷺ، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إنَّ ابن آدمَ لفي غَفْلةٍ ممَّا[٦] خَلَقَه الله عزَّ وجلَّ له؛ إنَّ الله لا إله غيرُه إذا أراد خَلْقَه قال للمَلكِ: اكتُبْ رزقَه وأَثَره وأَجَلَه، واكتب شقيًّا أو سعيداً، ثم يرتفعُ ذلك الملكُ، ويبعث الله

---

(١) أخرجه الطبري ٢٤/ ٢٥٤ ، وقوله: ودرجة بعد درجة...، ليس منه، وإنما ذُكر في شرحه، كما في الوسيط ٤/ ٤٥٥ ، وتفسير البغوي ٤/ ٤٦٥ .

(٢) أخرجه الطبري ٢٤/ ٢٥٤ - ٢٥٥ .

(٣) أخرجه من طريق إبراهيم عن عبد الله بن مسعود الطبري ٢٤/ ٢٥٥ - ٢٥٦ ، وهو والذي قبله في المعنى سواء.

(٤) في (م): واختلاق.

(٥) في النسخ: عن جعفر بن محمد بن علي، والمثبت هو الصواب.

(٦) في (م): عما.

مَلَكاً آخَرَ فيحفظُه حتى يُدْرِكَ، ثم يبعثُ الله مَلَكَين يكتبان حسناتِه وسيئاته، فإذا جاءه الموتُ ارتفع ذانِكَ الملكان، ثم جاءه ملكُ الموتِ عليه السلامُ فيقبضُ روحَه، فإذا أُدْخِل حُفْرتَه رُدَّ الروحُ في جسده، ثم يرتفعُ مَلكُ الموتِ، ثم جاءه مَلَكا القبرِ فامتَحَناه، ثم يرتفعان، فإذا قامت الساعةُ انحطَّ عليه مَلَكُ الحسناتِ ومَلَكُ السيئاتِ، فأَنْشَطا كتاباً معقوداً في عنقه، ثم حضرا معه، واحدٌ سائقٌ والآخَرُ شهيدٌ، ثم قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿لَقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ٢٢] قال رسول الله ﷺ: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ قال: «حالاً بعدَ حالٍ» ثم قال النبيُّ ﷺ: «إنَّ قُدَّامَكُمْ أمراً عظيماً فاستعينوا بالله العظيم»[١] فقد اشتمل الحديثُ على أحوالٍ تعتري الإنسانَ، من حين يُخْلقُ إلى حين يُبعثُ، وكلُّه شدَّةٌ بعد شدَّةٍ، حياةٌ ثم موتٌ، ثم بعثٌ ثم جزاءٌ، وفي كلِّ حالٍ من هذه شدائدُ.

وقال ﷺ: «لتَرْكَبُنَّ سَنَن مَن قَبْلَكم، شبراً بشبرٍ، وذراعاً بذراعٍ، حتى لو دَخَلوا جُحرَ ضَبٍّ لدخَلْتُموه» قالوا: يا رسولَ الله: اليهود والنصارى؟ قال: «فَمَنْ؟» خرَّجه البخاريُّ[٢].

وأمَّا أقوال المفسِّرين، فقال عكرمةُ: حالاً بعد حالٍ، فطيماً بعد رضيعٍ، وشيخاً بعد شَابٍّ[٣]، قال الشاعر:

كـذلِـك الـمـرءُ إن يُـنْـسَـأْ لـه أَجَـلٌ　　　يَـرْكَـبْ عـلـى طَـبـقٍ مِـن بَـعْـدِه طَـبَـقُ[٤]

---

(١) الحلية ٣/ ١٩٠ ، وسلف ١٩/ ٤٤٥ . قال ابن كثير: هذا حديث منكر، وإسناده فيه ضعفاء، ولكن معناه صحيح.

(٢) في صحيحه (٣٤٥٦)، وهو عند أحمد (١١٨٠٠)، ومسلم (٢٦٦٩) وهو من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ، ووقع في هذه المصادر: لتتبعن، بدل: لتركبن. وأخرج أحمد (١٨٨٩٧) من حديث أبي واقد الليثي ﷺ: «لتركبن سنن مَن كان قبلكم سُنَّةً سُنَّةً».

(٣) في (د) و(م) و(ي): شباب، والمثبت من (ظ)، وهو الموافق لما في النكت والعيون ٦/ ٢٣٨ والكلام منه.

(٤) البيت لكعب بن زهير، وهو في ديوانه ص ٦٨ ، وغريب الحديث لابن قتيبة ١/ ١٢٩ ، وهو فيهما برواية: يُرْكَب به طبق...، قال ابن قتيبة: أي ينقل من حال الشباب إلى حال الهرم.

وعن مكحول: كلَّ عشرين عاماً تجدون أمراً لم تكونوا عليه[١].

وقال الحسن: أمراً بعد أمرٍ، رَخاءً بعد شدَّةٍ، وشدَّةً بعد رَخاءٍ، وغنًى بعد فَقْرٍ، وفقرًا بعد غِنًى، وصحةً بعد سُقْمٍ، وسقماً بعد صحةٍ.

سعيد بن جبير: منزلةً بعد منزلةٍ، قومٌ كانوا في الدنيا متَّضِعينَ فارتفعوا في الآخرة، وقومٌ كانوا في الدنيا مُرْتَفعين فاتَّضَعوا في الآخرة[٢].

وقيل: منزلةً عن منزلةٍ، وطَبَقاً عن طَبَقٍ، وذلك أنَّ مَن كان على صلاحٍ دعاه إلى صلاحٍ فوقَه، ومَن كان على فسادٍ دعاه إلى فسادٍ فوقه، لأنَّ كلَّ شيء يجري إلى شَكْلِه.

ابن زيد: ولتصيرُنَّ من طَبَق الدنيا إلى طَبَق الآخرة[٣].

وقال ابن عباس: الشدائد والأهوال: الموتُ، ثم البعث، ثم العَرْض[٤]. والعربُ تقولُ لمن وقع في أمرٍ شديدٍ: وَقَع في بَنَاتِ طَبَقٍ، وإحدى بناتِ طَبَقٍ، ومنه قيل للدَّاهية الشَّديدة: أمُّ طَبَقٍ، وإحدى بناتِ طَبَقٍ، وأصلُها من الحيَّات؛ إذ يُقال للحية: أمُّ طَبَق لتَحَوِّيها[٥]. والطَّبَقُ في اللغة: الحالُ، كما وصفنا؛ قال الأقرعُ بنُ حابس التميميُّ:

إنِّي امرؤٌ قد حَلَبْتُ الدَّهْرَ أَشْطُرَه وساقني طَبَقٌ منه إلى طَبَقِ[٦]

وهذا أَدَلُّ دليلٍ على حدوث العالَم، وإثباتِ الصانع؛ قالت الحكماء: مَن كان

(١) الكشاف ٤/ ٢٣٦، وأخرجه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير والدر المنثور ٦/ ٣٣١، وفيهما: تُحدثون، بدل: تجدون.

(٢) ذكر قول الحسن وقول سعيد بن جبير الماوردي في النكت والعيون ٦/ ٢٣٨.

(٣) أخرجه بنحوه الطبري ٢٤/ ٢٥٤.

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٤٦٥.

(٥) تحوَّى: تجمَّع واستدار. المعجم الوسيط (حوى).

(٦) زاد المسير ٩/ ٦٧. ويقال: حَلَب فلانٌ الدهرَ أشْطُرَه، أي: خبر ضروبه، أي: مرَّ به خير وشر. تهذيب اللغة ١١/ ٣٠٧.

اليومَ على حالةٍ، وغداً على حالةٍ أُخرى، فلْيَعلَم أنَّ تدبيره إلى سواه. وقيل لأبي بكرٍ الورَّاقِ: ما الدليلُ على أنَّ لهذا العالَم صانعاً؟ فقال: تحويلُ الحالاتِ، وعجزُ القوَّةِ، وضَعْفُ الأركان، وقَهْرُ المنيةِ، ونَسْخُ العزيمة.

ويقال: أتانا طَبَقٌ من الناس وطَبَقٌ من الجراد، أي: جماعة[١]: وقولُ العباسِ في مَدْحِ النبيِّ ﷺ:

تُـنْـقَـلُ مِـن صـالـبٍ إلـى رَحِـمٍ إذا مـضَـى عـالَـمٌ بـدا طَـبَـقُ[٢]

أي: قَرْنٌ من الناس يكونُ طِبَاقَ الأرض: أي: مِلْأها.

والطَّبق أيضاً: عَظْمٌ رقيق يَفْصِلُ بين الفَقَارين. ويقال: مضَى طَبقٌ من اللَّيل، وطَبَقٌ من النهار، أي: مُعْظَمٌ منه. والطَّبَقُ: واحدُ الأطباق[٣]، فهو مُشْتركٌ.

وقُرِئ: «لتَرْكَبِنَّ» بكَسْرِ الباء، على خطابِ النَّفْسِ، و«ليَرْكَبَن» بالياءِ على: ليَرْكَبَنَّ الإنسان[٤].

و«عن طبقٍ» في محلِّ نصبٍ على أنَّه صفةٌ لـ «طبقًا»، أي: طبقاً مُجاوزاً لطبقٍ. أو حالٌ من الضمير في «لتَرَكَبُنَّ» أي: لتركبُنَّ طبقاً مُجاوِزينَ لطبَقٍ، أو مُجاوِزاً، أو مُجاوِزَةً، على حَسَبِ القراءة[٥].

قوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ يعني: أيُّ شيءٍ يمنعُهم من الإيمان بعد ما وَضَحَتْ لهم الآياتُ، وقامتِ الدلالاتُ. وهذا استفهامُ إنكارٍ. وقيل: تعجيب، أي: اعْجَبوا منهم في تَرْكِ الإيمانِ مع هذه الآيات.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ﴾ أي: لا يُصَلُّون. وفي الصحيح: أنَّ

---

(١) الصحاح (طبق).

(٢) المعاني الكبير ٢/ ٥٥٧ ، واللسان (صلب)، وسلف ١٤/ ٨٧ . قال صاحب اللسان: أراد بالصالب: الصُّلْب، وهو قليل الاستعمال. وقال ابن قتيبة: العالَم: القرن من الناس، وكذلك الطبق من الناس.

(٣) الصحاح (طبق).

(٤) الكشاف ٤/ ٢٣٦ ، وذكر الثانية ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ١٧٠ عن عمر ﷺ.

(٥) الكشاف ٤/ ٢٣٦ .

أبا هريرة قرأ: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ﴾ فسَجَدَ فيها، فلمَّا انْصَرفَ أَخْبَرَهم أنَّ رسول الله ﷺ سَجَدَ فيها[١]. وقد قال مالكٌ: إنَّها ليستْ من عزائم السُّجود[٢]؛ لأنَّ المعنى: لا يُذْعِنون ولا يطيعون في العمل بواجباته. ابنُ العربيِّ[٣]: والصحيحُ أنَّها منه، وهي روايةُ المَدَنيين عنه، وقد اعْتَضَد فيها القرآنُ والسنَّةُ.

قال ابنُ العربيِّ: لمَّا أَمَمْتُ بالناسِ تَرَكْتُ قراءتها؛ لأنِّي إنْ سجدتُ أنْكَروه، وإنْ تركتُها كان تقصيراً منِّي، فاجتنبتُها إلَّا إذا صلَّيتُ وحدي. وهذا تحقيقُ وَعْدِ الصَّادقِ بأنْ يكونَ المعروفُ مُنْكَراً، والمنكَرُ معروفاً؛ وقد قال ﷺ لعائشةَ: «لولا حِدْثانُ قومِكِ بالكفرِ لهَدَمْتُ البيتَ، ولَرَدَدْتُه على قواعِدِ إبراهيمَ»[٤]. ولقد كان شيخُنا أبو بكرٍ الفِهْريُّ يرفعُ يديه عند الركوعِ، وعند الرفعِ منه، وهو مذهبُ مالكٍ والشافعيِّ، ويفعلُه الشِّيعةُ، فحضر عندي يوماً في مَحْرَسِ ابنِ الشَّواء بالثغر ـ مَوْضع تَدْريسي ـ عند صلاةِ الظُّهْرِ، ودخل المسجدَ من المَحْرسِ المذكورِ، فتقدَّم إلى الصفِّ [الأولِ] وأنا في مؤخَّرِه قاعدٌ[٥] على طاقاتِ البحر، أتنسَّمُ الريح من شدَّة الحرِّ، ومعي في صفٍّ واحدٍ أبو ثمنةَ رئيسُ البحرِ وقائدُه، مع نَفَرٍ من أصحابه يَنتظِرُ الصلاة، ويتطلَّع على مراكب تَحت المنار[٦]، فلمَّا رفع الشيخُ يديه في الركوعِ وفي رَفْعِ الرأس منه، قال أبو ثمنةَ وأصحابُه: أَلَا تَرَوْنَ إلى هذا المَشْرِقيِّ كيف دخل مَسْجِدَنا؟ فقوموا إليه فاقتلوه وارْمُوا به إلى البحر، فلا يراكم أحدٌ. فطار قلبي من بين جَوَانحي وقلتُ: سبحان الله! هذا الطُّرْطُوشيُّ فقيهُ الوقتِ. فقالوا لي: ولِمَ يَرفعُ يديه؟ فقلت: كذلك كان النبيُّ ﷺ يفعلُ،

---

(١) صحيح البخاري (٧٦٦)، وصحيح مسلم (٥٧٨)، واللفظ له، وسلف ٩/ ٤٤٠ .

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٩٩ .

(٣) في أحكام القرآن ٤/ ١٨٩٩ - ١٩٠٠ ، وما سيأتي بين حاصرتين منه.

(٤) أخرجه أحمد (٢٤٢٩٧)، والبخاري (١٥٨٥)، ومسلم (١٣٣٣)، وسلف ٢/ ٣٩٢ .

(٥) في النسخ: قاعداً، والمثبت من أحكام القرآن.

(٦) في (م) ومطبوع أحكام القرآن: الميناء، والمثبت من النسخ الخطية، وهو أيضاً نسخة في أحكام القرآن ذكرت في الحاشية.

وهذا مذهبُ مالكٍ في روايةِ أهلِ المدينة عنه. وجعلتُ أُسَكِّنُهم وأُسْكِتُهم حتى فرغ من صلاته، وقمتُ معه إلى المَسكَنِ من المحرس، ورأى تغيُّرَ وجهي، فأنْكَره، وسألني فَأعْلَمْتُه، فضحك وقال: ومِن أين لي أنْ أُقتلَ على سنَّةٍ؟ فقلتُ له: ولا يَحِلُّ لك هذا، فإنَّك بين قومٍ إنْ قُمْتَ بها قاموا عليك، وربَّما ذهبَ دمُك. فقال: دَعْ هذا الكلامَ، وخُذْ في غيره.

قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍۭ ﴿٢٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ﴾ محمداً ﷺ وما جاء به. وقال مقاتلٌ: نزلتْ في بني عمرو بنِ عُمَير وكانوا أربعةً، فأسْلَم اثنان منهم. وقيل: هي في جميع الكفار.

﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ أي: بما يُضمِرونه في أنفسهم من التكذيب. كذا رَوى الضحاكُ عن ابنِ عباسٍ[1]. وقال مجاهدٌ: يكتُمون من أفعالهم[2]. ابنُ زيدٍ: يَجْمعون من الأعمال الصالحةِ والسيئةِ؛ مأخوذٌ من الوِعاء الذي يَجْمع ما فيه؛ يقال: أَوْعَيْتُ الزادَ والمتاعَ: إذا جَعَلْته في الوِعاء؛ قال الشاعر:

الخيرُ أَبْقَى وإن طالَ الزمانُ بِه ... والشرُّ أخْبَثُ ما أوْعَيتَ مِن زادِ[3]

وَوَعَاه، أي: حَفِظَه؛ تقول: وَعَيْتُ الحديثَ أَعِيهِ وَعْيًا، وأُذُنٌ واعِيةٌ. وقد تقدَّم[4].

﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ أي: مُوجِعٍ في جهنَّمَ على تكذيبهم. أي: اجْعَلْ ذلك بمنزلةِ البِشَارةِ. ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ استثناءٌ منقطعٌ، كأنه قال: لكنِ الذين صَدَّقوا بشهادةِ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ وأنَّ محمداً رسولُ الله، وعَمِلوا الصالحات،

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط ٤/ ٤٥٦، وأخرجه ابن أبي حاتم وابن المنذر بلفظ: يُسِرُّون. الدر المنثور ٦/ ٣٣١.

(٢) النكت والعيون ٦/ ٢٣٩، وأخرجه الطبري ٢٤/ ٢٥٧ - ٢٥٨.

(٣) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٣٦٨.

(٤) ٢١/ ١٩٧ - ١٩٨.

أي: أَدَّوا الفرائضَ المفروضةَ عليهم ﴿لَهُمْ أَجْرٌ﴾ أي: ثوابٌ ﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ أي: غيرُ مَنْقوصٍ ولا مَقْطوعٍ؛ يقال: مَنَنْتُ الحبلَ: إذا قطعته. وقد تقدَّم[١].

وسأل نافع بنُ الأَزْرقِ ابنَ عباس عن قوله: ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ فقال: غيرُ مقطوعٍ. فقال: هل تَعْرِفُ ذلك العربُ؟ قال: نعم قد عَرَفَه أخو يشكرَ حيث يقول:

فترى خَلْفَهُنَّ مِن سُرْعةِ الرَّجْـ ـعِ مَنِيناً كأنَّه أَهْبَاءُ[٢]

قال المبرِّدُ: المَنينُ: الغبارُ؛ لأنها تقطِّعُه وراءها[٣]. وكلُّ ضعيفٍ مَنينٌ وممنونٌ.

وقيل: «غيرُ ممنونٍ»: لا يُمنُّ عليهم به.

وذكر ناسٌ من أهلِ العلم أنَّ قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ ليس استثناءً، وإنما هو بمعنى الواو، كأنَّه قال: والذين آمنوا. وقد مضى في «البقرة» القولُ فيه[٤]، والحمدُ لله. تمت سورة الانشقاق.

---

(١) عند تفسير الآية (٨) من سورة فصلت.

(٢) ذكر هذا الخبر المبرد في الكامل ٣/ ١١٥١ ، والبيت من معلقة الحارث بن حِلِّزةَ اليشكري، كما في شرح المعلقات للنحاس ٢/ ٥٧ ، وسلف ١٥/ ٣٩٦ .

(٣) في الكامل: تقطعه قطعاً وراءها.

(٤) ٢/ ٤٥٥ .

تفسير سورة الانشقاق

وهى مكية .

قال مالك ، عن عبد الله بن يزيد ، عن أبى سلمة : أن أبا هريرة قرأ بهم : ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ ، فسجد فيها ، فلما انصرف أخبرهم أن رسول الله ﷺ سجد فيها . رواه مسلم والنسائى ، من طريق مالك ، به (١) .

وقال البخارى : حدثنا أبو النعمان ، حدثنا معتمر ، عن أبيه ، عن بكر ، عن أبى رافع قال : صليت مع أبى هُرَيرة العتمة فقرأ : ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴾ ، فسجد ،فقلت له ، قال :سجدتُ خلف أبى القاسم ﷺ فلا أزال أسجد بها حتى ألقاه (٢) .

ورواه أيضا عن مسدد ، عن معتمر ، به . ثم رواه عن مسدد ، عن يزيد بن زُرَيع ، عن التيمى، عن بكر ، عن أبى رافع ، فذكره(٣) . وأخرجه مسلم وأبو داود والنسائى من طرق ، عن سليمان بن طِرْخان التيمى ، به (٤) . وقد روى مسلم وأهل السنن من حديث سفيان بن عُيَينة ـ زاد النَّسائى : وسفيان الثورى ـ كلاهما عن أيوب بن موسى ، عن عطاء بن ميناء ، عن أبى هريرة قال : سجدنا مع رسول الله ﷺ فى ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴾ و ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ ﴾ (٥) .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ (١) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (٢) وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ (٣) وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ (٤) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (٥) يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقِيهِ (٦) فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (٨) وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا (٩) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (١٠) فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا (١١) وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا (١٢) إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا (١٣) إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ (١٤) بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا (١٥) ﴾.

يقول تعالى : ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴾ وذلك يوم القيامة ، ﴿ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا ﴾ أى : استمعت لربها

(١) صحيح مسلم برقم (٥٧٨) وسنن النسائى الكبرى برقم (١١٦٦٠) .
(٢) صحيح البخارى برقم (٧٦٦) .
(٣) صحيح البخارى برقم (٧٦٨) .
(٤) صحيح مسلم برقم (٥٧٨) وسنن أبى داود برقم (١٤٠٨) وسنن النسائى (٢/ ١٦١) .
(٥) صحيح مسلم برقم (٥٧٨) وسنن أبى داود برقم (١٤٠٧) وسنن الترمذى برقم (٥٧٣) وسنن النسائى (٢/ ١٦٢) .

وأطاعت أمره فيما أمرها به من الانشقاق ﴿ وَحُقَّتْ ﴾ أى : وحق لها أن تطيع أمره ؛ لأنه العظيم الذى لا يُمانَع ولا يغالب ،بل قد قهر كل شىء وذل له كلّ شىء .

ثم قال : ﴿ وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ ﴾ أى : بُسطت وفرشت وَوُسِّعَت .

قال ابن جرير ، رحمه الله : حدثنا ابن عبد الأعلى ، حدثنا ابن [١] ثور ، عن معمر ، عن الزهرى ، عن على بن الحسين : أن النبى ﷺ قال : « إذا كان يومُ القيامة مَدَّ الله الأرض مَدَّ الأديم حتى لا يكون لبشر من الناس إلا موضع قدميه ، فأكون أول من يدعى ، وجبريل عن يمين الرحمن، والله ما رآه قبلها ، فأقول : يا رب ،إن هذا أخبرنى أنك أرسلته إلى ؟ فيقول الله عز وجل: صدق. ثم أشفع فأقول : يا رب ، عبادك عبدوك فى أطراف الأرض . قال : وهو المقام المحمود » [٢] .

وقوله : ﴿ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴾ أى : ألقت ما فى بطنها من الأموات ، وتخلت منهم . قاله مجاهد ،وسعيد ، وقتادة ، ﴿ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴾ كما تقدم .

وقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا ﴾ أى : ساع إلى ربك سعيا ، وعامل عملا ، ﴿ فَمُلاقِيهِ ﴾ ، ثم إنك ستلقى ما عملتَ من خير أو شر . ويشهد له ما رواه أبو داود الطيالسى ، عن الحسن بن جعفر ، عن أبى الزبير ، عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : « قال جبريل : يا محمد، عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب ما شئت فإنك مفارقه،واعمل ما شئت فإنك ملاقيه» [٣].

ومن الناس من يعيد الضمير على قوله: ﴿ رَبِّكَ﴾ أى : فملاق [٤] ربك ، ومعناه : فيجازيك بعملك ويكافئك على سعيك . وعلى هذا فكلا القولين متلازم .

قال العوفى ، عن ابن عباس : ﴿ يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا ﴾ يقول : تعمل عملا تلقى الله به ،خيرا كان أو شرا .

وقال قتادة : ﴿ يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا ﴾ : إن كدحك ــ يا ابن آدم ــ لضعيف، فمن استطاع أن يكون كدحه فى طاعة الله فليفعل ، ولا قوة إلا بالله .

ثم قال : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ . فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ أى : سهلا بلا تعسير ، أى: لا يحقق عليه جَميعُ دقائق أعماله ؛ فإن من حوسب كذلك يهلك [٥] لا محالة .

---

(١) فى أ : « حدثنا أبو » .

(٢) تفسير الطبرى (٣٠/ ٧٢) ورواه عبد الرزاق فى تفسيره (١/ ٣٢٨) ومن طريقه الطبرى فى تفسيره (١٥/ ٩٩) عن معمر ، عن الزهرى، عن على بن الحسين به مرسلاً ، ورواه أبو نعيم فى الحلية (٣/ ١٤٥) من طريق محمد بن جعفر ، عن إبراهيم بن سعد ، عن الزهرى، عن على بن الحسين ، عن رجل من أهل العلم به ، وقال : « صحيح تفرد بهذه الألفاظ على بن الحسين لم يروه عنه إلا الزهرى ولا عنه إلا إبراهيم بن سعد ، وعلى بن الحسين هو أفضل وأتقى من أن يروه عن رجل لا يعتمده فينسبه إلى العلم ويطلق القول به». وقال الحافظ ابن حجر فى الفتح (٨/ ٤٠٠) : « رجاله ثقات ، وهو صحيح إن كان الرجل صحابياً » . لكن الحديث له علة وهى الاختلاف على الزهرى فى اسم الصحابى ، فرواه الحاكم فى المستدرك (٥/ ٥٧٠) من طريق إبراهيم بن حمزة الزبيرى ، عن إبراهيم بن سعد ، عن الزهرى ، عن على بن حسين ، عن جابر مرفوعاً بنحوه ، وقال الحاكم : « صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه».

(٣) مسند الطيالسى برقم (١٧٥٥) .

(٤) فى م : « أى ملاق » .

(٥) فى م ، أ : « كذلك هلك » .

قال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل ، أخبرنا أيوب ، عن عبد الله بن أبى مُلَيْكة ، عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : « من نُوقش الحساب عُذِّب » . قالت : فقلت : أليس قال الله : ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ ؟ ، قال : « ليس ذاك بالحساب ،ولكن ذلك العَرْض ، من نوقش الحساب يوم القيامة عذب » .

وهكذا رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن جرير ، من حديث أيوب السختيانى ، به[١] .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن وَكِيع ، حدثنا روح بن عبادة ، حدثنا أبو عامر الخَزّاز ، عن ابن أبى مُلَيْكة ، عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ :« إنه ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا معذبا » . فقلت : أليس الله يقول : ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ ؟ ، قال : « ذاك العرض ، إنه من نُوقش الحساب عُذب » ، وقال بيده على إصبعه كأنه يَنكُتُ .

وقد رواه أيضا عن عمرو بن على ، عن ابن أبى عدى ، عن أبى يونس القُشَيرى ، عن ابن أبى مُلَيْكة ، عن القاسم ، عن عائشة ، فذكر الحديث [٢] . أخرجاه من طريق أبى يونس القُشَيرى ، واسمه حاتم بن أبى صغيرة [٣]، به [٤] .

قال ابن جرير : حدثنا نصر بن على الجهضمى ، حدثنا مسلم ، عن الحريش بن الخَرِّيت أخى الزبير ، عن ابن أبى مليكة ، عن عائشة قالت : من نُوقش الحساب ــ أو : من حُوسِب ــ عُذِّبَ . قال : ثم قالت : إنما الحسابُ اليسيرُ عَرض على الله عز وجل وهو يراهم [٥] .

وقال أحمد : حدثنا إسماعيل ، حدثنا محمد بن إسحاق ، حدثنى عبد الواحد بن حمزة بن [٦] عبد الله بن الزبير ، عن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن عائشة قالت : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول فى بعض صلاته : « اللهم حاسبنى حسابا يسيرا » . فلما انصرف قلت : يا رسول الله ، ما الحساب اليسير ؟ قال : « أن ينظر فى كتابه فيتجاوز له عنه ، إنه من نُوقش الحسابَ يا عائشةُ يومئذ هَلَكَ » . صحيح على شرط مسلم [٧] .

وقوله تعالى : ﴿ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴾ أى : ويرجع إلى أهله فى الجنة . قاله قتادة ، والضحاك ، ﴿ مَسْرُورًا ﴾ أى : فرحانَ مغتبطا بما أعطاه الله عز وجل .

وقد روى الطبرانى عن ثوبان ــ مولى رسول الله ﷺ ــ أنه قال : إنكم تعملون أعمالا لا تعرف، ويوشك العازب [٨] أن يثوب إلى أهله ، فمسرور ومكظوم[٩] .

---

(١) المسند (٦/ ٤٧) وصحيح البخارى برقم (٤٩٣٩) وصحيح مسلم برقم (٢٨٧٦) وسنن الترمذى برقم (٣٣٣٧) وسنن النسائى الكبرى برقم (١١٦٥٩) وتفسير الطبرى (٣٠/ ٧٤) .
(٢) تفسير الطبرى (٣٠/ ٧٤) .
(٣) فى أ : « صفرة » .
(٤) صحيح البخارى برقم (٤٩٣٩) وصحيح مسلم برقم (٢٨٧٦) .
(٥) تفسير الطبرى (٣٠/ ٧٤) .
(٦) فى م : « عن » .
(٧) المسند (٦/ ٤٨) .
(٨) فى م ، أ، هـ : « العارف » والمثبت من المعجم الكبير .
(٩) المعجم الكبير (٢/ ٩٤) من طريق يحيى الحمانى ، عن جعفر بن سليمان ، عن أبى عبد الله الشامى ، عن عائذ الله ، عن ثوبان به مرفوعاً ، ويحيى الحمانى ضعيف .

وقوله : ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِه ﴾ أى : بشماله من وراء ظهره ، تُثْنى يده إلى ورائه ويعطى كتابه بها كذلك ، ﴿ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ﴾ أى: خسارا وهلاكا ، ﴿وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا . إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴾ أى : فرحا لا يفكر فى العواقب ،ولا يخاف مما أمامه ، فأعقبه ذلك الفرح اليسير الحزن الطويل ، ﴿ إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴾ أى : كان يعتقد أنه لا يرجع إلى الله ولا يعيده بعد موته . قاله ابن عباس ، وقتادة ، وغيرهما . والحَوْرُ : هو الرجوع . قال الله : ﴿بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴾ يعنى : بلى سيعيده الله كما بدأه ،ويجازيه على أعماله خيرها وشرها ، فإنه ﴿ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴾ أى : عليما خبيرا .

﴿ **فَلا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ (١٦) وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ (١٧) وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ (١٨) لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ (١٩) فَمَا لَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ (٢٠) وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لا يَسْجُدُونَ (٢١) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ (٢٢) وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ (٢٣) فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٢٤) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٢٥)** ﴾ .

رُوى عن على ، وابن عباس ، وعُبادة بن الصامت ، وأبى هُرَيرة ، وشداد بن أوس ، وابن عمر ، ومحمد بن على بن الحسين ، ومكحول ،وبكر بن عبد الله المزنى ، وبُكَيْر [١] بن الأشج ، ومالك ، وابن أبى ذئب ، وعبد العزيز بن أبى سلمة الماجَشُون أنهم قالوا : الشفق : الحمرة .

وقال عبد الرزاق ، عن مَعْمَر ، عن ابن خُثَيم [٢] ، عن ابن لبيبة ، عن أبى هُرَيرة قال : الشفق: البياض [٣] .

فالشفق هو : حمرة الأفق إما قبل طلوع الشمس ــ كما قاله مجاهد ــ وإما بعد غروبها ــ كما هو معروف[٤] عند أهل اللغة .

قال الخليل بن أحمد : الشفق : الحمرة من غروب الشمس إلى وقت العشاء الآخرة ، فإذا ذهب قيل : غاب الشفق .

وقال الجوهرى : الشفق : بقية ضوء الشمس وحمرتُها فى أول الليل إلى قريب من العَتمَة .

وكذا قال عكرمة : الشفق الذى يكون بين المغرب والعشاء .

وفى صحيح مسلم، عن عبد الله بن عمرو ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : « وقت المغرب ما لم يغب الشفق » [٥] .

ففى هذا كله دليل على أن الشفق هو كما قاله الجوهرى والخليل . ولكن صح عن مجاهد أنه

(١) فى أ : « وبكر » . (٢) فى أ : « خيثم » .
(٣) تفسير عبد الرزاق (٢/٢٩٢) .
(٤) فى م : « كما هو المعروف » .
(٥) صحيح مسلم برقم (٦١٢) .

قال فى هذه الآية : ﴿ فَلا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ ﴾ : هو النهار كله. وفى رواية عنه أيضا أنه قال : الشفق : الشمس . رواهما ابن أبى حاتم .

وإنما حمله على هذا قَرْنهُ بقوله تعالى : ﴿ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴾ أى : جمع . كأنه أقسم بالضياء والظلام .

وقال ابن جرير : أقسم الله بالنهار مدبراً ، وبالليل مقبلا . قال ابن جرير : وقال آخرون : الشفق اسم للحمرة والبياض . وقالوا : هو من الأضداد [1].

قال ابن عباس ، ومجاهد ،والحسن ،وقتادة : ﴿ وَمَا وَسَقَ ﴾ : وما جمع . قال قتادة : وما جمع من نجم ودابة .واستشهد ابن عباس بقول الشاعر [2] :

مُستَوسقات لو تَجِدْنَ سَائقا

قد قال عكرمة : ﴿ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴾ يقول : ما ساق من ظلمة ، إذا كان الليل ذهب كل شىء إلى مأواه .

وقوله : ﴿ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ﴾ : قال ابن عباس : إذا اجتمع واستوى . وكذا قال عكرمة ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، ومسروق ، وأبو صالح ،والضحاك ،وابن زيد .

﴿ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ﴾ : إذا استوى . وقال الحسن : إذا اجتمع ،إذا امتلأ . وقال قتادة : إذا استدار .

ومعنى كلامهم : أنه إذا تكامل نوره وأبدر ، جعله مقابلا لليل وما وسق .

وقوله : ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾ : قال البخارى : أخبرنا سعيد بن النضر ، أخبرنا هُشَيم ، أخبرنا أبو بشر ، عن مجاهد قال : قال ابن عباس : ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾ : حالا بعد حال ــ قال هذا نبيكم ﷺ .

هكذا رواه البخارى بهذا اللفظ [3] ، وهو محتمل أن يكون ابن عباس أسند هذا التفسير عن النبى ﷺ ، كأنه قال : سمعت هذا من نبيكم ﷺ ، فيكون قوله : « نبيكم » مرفوعا على الفاعلية من « قال » وهو الأظهر ، والله أعلم ، كما قال أنس: لا يأتى عام إلا والذى بعده شرٌّ منه ، سمعته من نبيكم ﷺ .

وقال ابن جرير : حدثنى يعقوب بن إبراهيم ،حدثنا هُشَيْم ، أخبرنا أبو بشر ، عن مجاهد ؛ أن ابن عباس كان يقول : ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾ قال : يعنى نبيكم ﷺ ، يقول : حالا بعد حال . هذا لفظه [4] .

---

(١) تفسير الطبرى (٣٠/٧٦) .

(٢) البيت فى تفسير الطبرى (٣٠/٧٦) وقد ذكره المبرد فى الكامل :

إن لنا قلائصاً حقائقاً مستوسقات لو يجدن سائقاً

وهو منسوب لابن صرمة .

(٣) صحيح البخارى برقم (٤٩٤٠) .

(٤) تفسير الطبرى (٣٠/٧٨) .

وقال على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾ : حالا بعد حال . وكذا قال عكرمة ومُرَة الطَّيِّب ، ومجاهد ، والحسن ، والضحاك [ومسروق وأبو صالح] (١) .

ويحتمل أن يكون المراد : ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾ : حالا بعد حال . قال : هذا ، يعنى المراد بهذا نبيكم ﷺ ، فيكون مرفوعا على أن « هذا » و « نبيكم » يكونان مبتدأ وخبرا ، والله أعلم . ولعل هذا قد يكون هو المتبادر إلى كثير من الرواة ،كما قال أبو داود الطيالسى وغُنْدَر : حدثنا شعبة، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾ قال : محمد ﷺ . ويؤيد هذا المعنى قراءةُ عمر ، وابن مسعود ، وابن عباس ، وعامة أهل مكة والكوفة : « لَتَرْكَبَنّ» بفتح التاء والباء .

قال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ،حدثنا أبو أسامة ، عن إسماعيل ، عن الشعبى : ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾ قال : لتركَبن يا محمد سماء بعد سماء . وهكذا رُوى عن ابن مسعود، ومسروق ، وأبى العالية : ﴿ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾ : سماء بعد سماء .

قلت : يعنون ليلة الإسراء .

وقال أبو إسحاق ، والسدى (٢) ، عن رجل ، عن ابن عباس : ﴿ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾ : منزلا على منزل . وكذا رواه العوفى ، عن ابن عباس مثله ــ وزاد :«ويقال : أمرا بعد أمر ،وحالا بعد حال».

وقال السدى نفسُه : ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾ : أعمال من قبلكم منزلا بعد منزل .

قلت : كأنه أراد معنى الحديث الصحيح : « لتركبن سَنَنَ من كان قبلكم، حَذْو القُذَّة بالقُذَّة ، حتى لو دخلوا جُحر ضَبٍّ لدخلتموه » . قالوا: يا رسول الله،اليهود والنصارى؟ قال:« فمن؟ » (٣) . وهذا محتمل .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى ، حدثنا هشام بن عمار ، حدثنا صدقة ، حدثنا ابن جابر ،أنه سمع مكحولا يقول فى قول الله : ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾ قال : فى كل عشرين سنة ،تحدثون أمرا لم تكونوا عليه .

وقال الأعمش : حدثنى إبراهيم قال : قال عبد الله : ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾ قال : السماء تنشق ثم تحمر ،ثم تكون لونا بعد لون .

وقال الثورى ، عن قيس بن وهب ، عن مرة ، عن ابن مسعود : ﴿ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾ قال : السماء مَرةً كالدهان ، ومرة تنشق .

وروى البزار من طريق جابر الجعفى ، عن الشعبى ، عن علقمة ، عن عبد الله بن مسعود : ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾ ، يا محمد ، يعنى حالا بعد حال . ثم قال : ورواه جابر ، عن مجاهد ، عن ابن عباس .

---

(١) زيادة من م .   (٢) فى م : « عن السدى » .

(٣) تقدم تخريج الحديث عند تفسير الآية : ٣٤ من سورة التوبة .

وقال سعيد بن جبير : ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾ قال : قوم كانوا فى الدنيا خسيس أمرهم ، فارتفعوا فى الآخرة ، وآخرون كانوا أشرافا فى الدنيا ،فاتضعوا فى الآخرة .

وقال عكرمة :﴿ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾ : حالا بعد حال ، فطيماً بعد ما كان رضيعاً ، وشيخاً بعد ما كان شاباً .

وقال الحسن البصرى : ﴿ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾ يقول : حالا بعد حال ، رخاء بعد شدة ، وشدة بعد رخاء ، وغنى بعد فقر ، وفقرا بعد غنى ، وصحة بعد سقم ،وسَقَما بعد صحة .

وقال ابن أبى حاتم :ذكر عن عبد الله بن زاهر :حدثنى أبى ، عن عمرو بن شَمر ، عن جابر ـ هو الجعفى ـ عن محمد بن على ،عن جابر بن عبد الله قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إن ابن آدم لفى غفلة مما خُلِقَ له ؛ إن الله إذا أراد خلقه قال للملك : اكتب رزقه ، اكتب أجله ، اكتب أثره ، اكتب شقيا أو سعيداً ، ثم يرتفع ذلك الملك ويبعث الله إليه مَلَكا فيحفظه حتى يدرك ، ثم يرتفع ذلك الملك ، ثم يوكل الله به ملكين يكتبان حسناته وسيئاته ، فإذا حَضَره الموتُ ارتفع ذانك الملكان ،وجاءه ملك الموت فقبض روحه ، فإذا دخل قبره رَدَّ الروح فى جسده ، ثم ارتفع ملك الموت ، وجاءه مَلَكا القبر فامتحناه ، ثم يرتفعان ، فإذا قامت الساعة انحط عليه ملك الحسنات وملك السيئات ، فانتشطا كتابا معقودا فى عنقه ، ثم حضرا معه : واحدٌ سائقا وآخر شهيدا » ، ثم قال الله عز وجل : ﴿ لَقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا ﴾ [ق:٢٢] . قال رسول الله ﷺ : ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾ قال : « حالا بعد حال » . ثم قال النبى ﷺ : « إن قدامكم لأمرا عظيما لا تَقدرُونه ، فاستعينوا بالله العظيم » (١) .

هذا حديث منكر ،وإسناده فيه ضعفاء ،ولكن معناه صحيح ،والله ـ سبحانه وتعالى ـ أعلم .

ثم قال ابن جرير بعد ما حكى أقوال الناس فى هذه الآية من القراء والمفسرين : والصواب من التأويل قول من قال لَتَرْكَبَنّ أنت ـ يا محمد ـ حالا بعد حال وأمراً بعد أمر من الشَّدَائد . والمراد بذلك ـ وإن كان الخطاب إلى رسول الله ﷺ مُوَجَّها (٢) ـ جَميعَ الناس ، وأنهم يلقون من شدائد يوم القيامة وأهواله أحوالاً (٣) .

وقوله : ﴿ فَمَا لَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ . وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لا يَسْجُدُونَ ﴾ أى : فماذا يمنعهم من الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر ؟ وما لهم إذا قرئت عليهم آيات الرحمن (٤) وكلامه ـ وهو هذا القرآن ـ لا يسجدون إعظاما وإكراماً واحتراما ؟

وقوله : ﴿ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ ﴾ أى : من سجيتهم التكذيب والعناد والمخالفة للحق .

﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴾ : قال مجاهد وقتادة : يكتمون فى صدورهم .

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور (٧/ ٦٠٠) لابن أبي الدنيا في ذكر الموت وابن أبى حاتم وأبو نعيم فى الحلية .

(٢) فى م : « متوجهاً » .

(٣) تفسير الطبرى (٣٠/ ٨٠) .

(٤) فى أ : « آيات الله » .

﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ أى: فأخبرهم ـ يا محمد ـ بأن الله عز وجل قد أعد لهم عذابا أليما .

وقوله : ﴿ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ : هذا استثناء منقطع ، يعنى لكن الذين آمنوا ـ أى : بقلوبهم ـ وعملوا الصالحات بجوارحهم ﴿ لَهُمْ أَجْرٌ ﴾ أى : فى الدار الآخرة .

﴿ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ : قال ابن عباس : غير منقوص . وقال مجاهد ،والضحاك : غير محسوب .

وحاصل قولهما أنه غير مقطوع ، كما قال تعالى : ﴿ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ [هود:١٠٨] . وقال السدى : قال بعضهم : ﴿ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ : غير منقوص . وقال بعضهم : ﴿ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ عليهم .

وهذا القول الآخر عن بعضهم قد أنكره غير واحد ؛ فإن الله عز وجل له المنة على أهل الجنة فى كل حال وآن ولحظة ،وإنما دخلوها بفضله ورحمته لا بأعمالهم ، فله عليهم المنة دائما سرمداً ، والحمد لله وحده أبدا ؛ ولهذا يلهمون تسبيحه وتحميده كما يلهمون النَّفَس : ﴿ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [يونس: ١٠] .

آخر تفسير سورة « الانشقاق » ولله الحمد

سورة الانشقاق[1]

مكّيّة، وهي خمس[2] وعشرون آيةً.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ۝٣ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۝٤ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٥ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ۝٦ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩﴾

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾ أي: بالغمام كما في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ﴾ [الفرقان، ٢٥/٢٥]. وعن عليّ رضي الله عنه: تنشقّ مِن المجرّة.[3]

﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا﴾ واستمعت، أي: انقادت وأذعَنت لتأثير قدرته تعالى حين تعلّقت إرادته بانشقاقها انقيادَ المأمور المِطواع إذا ورد عليه أَمْر الآمر المُطاع. والتعرّض لعنوان الربوبيّة مع الإضافة إليها للإشعار بعِلّة الحُكم. وهذه الجملة ونظيرتُها الآتية بمنزلة قوله تعالى: ﴿أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت، ١١/٤١] في الإنباء عن كون ما نُسب إلى السماء والأرض مِن الانشقاق والمدّ وغيرهما جاريًا على مقتضى الحِكمة، كما أشيرَ إليه فيما سلف.

﴿وَحُقَّتْ﴾ أي: جُعلت حقيقةً بالاستماع والانقياد لكن لا بعدَ أن لم يكن كذلك؛ بل في نفسها وحدّ ذاتها مِن قولهم "هو محقوق بكذا" و"حقيقٌ به"، والمعنى: انقادت لربّها وهي حقيقة بذلك، لكن لا على أنّ المدار خصوصيّة ذاتها مِن بين سائر المقدورات؛ بل خصوصيّة القدرة القاهرة الربّانيّة التي يتأتّى لها

---

١ س: انشقّت.

٢ س: ثلاث.

٣ النكت والعيون للماوردي، ٢٣٨/٦؛ تفسير أبي المظفّر السمعاني، ١٨١/٦؛ الكشّاف للزمخشري، ٥٤٣/٤.

كلّ مقدور ولا يتخلّف عنها أمر مِن الأمور، فحَقُّ الجملة أن تكون اعتراضًا مقرِّرًا لِما قبلها لا معطوفةً / عليه. [٢٨٤و]

﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ أي: بُسِطت بإزالة جبالها وآكامها مِن مقارّها وتسويتها بحيث صارت قاعًا صفصفًا لا ترى فيها عِوَجًا ولا أَمْتًا، أو زِيدت سَعةً وبسطةً، مِن "مدّه" بمعنى أمدّه، أي: زاده.

﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا﴾ أي: رَمَت ما في جوفها مِن الموتى والكنوز، كقوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ [الزلزلة، ٢/٩٩]. ﴿وَتَخَلَّتْ﴾ وخلَت عمّا فيها غاية الخُلوّ، حتّى لم يبقَ فيها شيء منه، كأنّها تكلّفت في ذلك أقصى جُهدها.

﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا﴾ في الإلقاء والتخلّي ﴿وَحُقَّتْ﴾ أي: وهي حقيقة بذلك، أي: شأنها ذلك بالنسبة إلى القدرة الربانيّة. وتكريرُ كلمة ﴿إِذَا﴾ مع اتّحاد الأفعال المنسوبة إلى السماء والأرض وقوعًا في الوقت الممتدّ الذي هو مدلولها، قد مرّ سرّه فيما مرّ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا﴾ أي: جاهِدٌ ومُجِدّ إلى الموت وما بعده مِن الأحوال التي مُثِّلت باللقاء مبالغٌ في ذلك، فإنّ الكدح جُهد النفس في العمل والكدُّ فيه، بحيث يؤثِّر فيها مِن "كَدَح جِلدَه" إذا خَدَشه. ﴿فَمُلَٰقِيهِ﴾ أي: فمُلاقٍ له عَقيب ذلك لا محالةَ مِن غير صارف يَلويك عنه.

وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾... إلى آخره. قيل: جوابُ ﴿إِذَا﴾، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة، ٣٨/٢].

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾... إلخ اعتراضٌ. وقيل: هو محذوف للتهويل والإيماء إلى قصور العبارة عن بيانه، أو للتعويل على دلالة ما مرّ في سورة التكوير والانفطار عليه. وقيل: هو ما دلّ عليه قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾... إلخ، تقديرُه لاقى الإنسان كَدْحه. وقيل: هو قوله تعالى: ﴿فَمُلَٰقِيهِ﴾، وما قبله اعتراض. وقيل: هو ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾... إلخ، بإضمار القول ومعنى يسيرًا سهلًا

لا مناقشة فيه ولا اعتراض.[١] وعن الصِّدِّيقة رضي الله عنها: هو أن يُعرَّف ذنوبه ثم يُتجاوز عنه.[٢]

﴿وَيَنقَلِبُ / إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا﴾ أي: عشيرتِه المؤمنين أو فريقِ المؤمنين [٢٨٤ظ] مبتهجًا بحاله قائلًا: ﴿هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ﴾ [الحاقة، ١٩/٦٩]. وقيل: إلى أهله في الجنّة مِن الحُور والغِلمان.[٣]

﴿وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ ۝١٠ فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ ثُبُورٗا ۝١١ وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢ إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورًا ۝١٣ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ۝١٤ بَلَىٰٓۚ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرٗا ۝١٥﴾

﴿وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ﴾ أي: يؤتاه بشِماله مِن وراء ظهره. قيل: تُغَلّ يمناه إلى عنقه وتُجعَل شِماله وراءَ ظهره، فيُؤتى كتابَه بشماله. وقيل: تُخلَع يده اليسرى مِن وراء ظهره.[٤]

﴿فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ ثُبُورٗا﴾ أي: يتمنّى الثُّبور: وهو الهلاك، ويدعوه "يا ثبوراه تعالَ فإنّه أوانك"، وأنّى له ذلك؟

﴿وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا﴾ أي: يدخلها. وقُرئ: "يُصَلَّى"،[٥] كقوله تعالى: ﴿وَتَصۡلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ [الواقعة، ٩٤/٥٦]. وقُرئ: "وَيُصْلَى"،[٦] كما في قوله تعالى: ﴿وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَ﴾ [النساء، ١١٥/٤].

﴿إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهۡلِهِۦ﴾ فيما بين أهله وعشيرته في الدنيا ﴿مَسۡرُورًا﴾ مُترَفًا بَطِرًا مُستبشِرًا كدَيْدَن الفُجّار الذين لا يُهمّهم ولا يخطُر ببالهم أمور الآخرة ولا يتفكّرون في العواقب، ولم يكن حزينًا متفكِّرًا في حاله ومآله كسنّة الصُّلحاء والمتّقين. والجملة استئناف ببيان عِلّة ما قبلها.

---

١ انظر لهذه الأقوال اللباب لابن عادل، ٢٢٦/٢٠-٢٢٧؛ وبعضها في معالم التنزيل للبغوي، ٣٧٣/٨.

٢ الكشّاف للزمخشري، ٥٤٥/٤.

٣ القول في أنوار التنزيل للبيضاوي، ٥١٥/٣.

٤ القولان في الكشّاف للزمخشري، ٥٤٥/٤.

٥ قرأ بها نافع وابن كثير وابن عامر والكسائي. النشر لابن الجزري، ٣٩٩/٢.

٦ قراءة شاذّة، مرويّة عن عيسى البصرة وهارون، وأبان عن عاصم، وخارجة والأصمعي عن نافع، والعتكي عن أبي عمرو، والقرّاب عن أبيّ، ومحبوب عن ابن كثير. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٧١؛ شواذّ القراءات للكرماني، ص ٥٠٧؛ المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ١٩٠٤.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾ تعليل لسروره في الدنيا، أي: ظنّ أن لن يرجع إلى الله تعالى تكذيبًا للمَعاد. و"أنْ" مخفَّفة مِن "أنّ" سادّة مع ما في حيّزها مَسدّ مفعولي "الظنّ" أو أحدهما، على الخلاف المعروف.[١]

﴿بَلَىٰٓ﴾ إيجاب لِما بعد ﴿لَن﴾. وقوله تعالى:[٢] ﴿إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا﴾ تحقيق وتعليل له، أي: بلى لَيحورَنّ البتّةَ إنّ ربّه الذي خلقه كان به وبأعماله الموجِبة للجزاء بصيرًا بحيث لا تخفى منها خافية، فلا بدّ مِن رَجْعه وحسابه وجزائه عليها حتمًا. وقيل: نزلت الآيتان في أبي سلمةَ بن عبد الأشدّ وأخيه الأسود.[٣]

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ ۝١٦ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ۝١٧ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ۝١٨ لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ ۝١٩﴾

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ﴾ هي الحُمرة التي تُشاهَد في أفُق المغرب بعد الغروب، أو البياضُ الذي يليها، سُمّي به لرِقّته، ومنه الشَّفَقة التي هي عبارة عن رِقّة القلب. ﴿وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ﴾ وما جَمَع وضَمّ، / يقال: "وَسَقه فاتّسَق واستوسَق"، [٢٨٥و] أي: جَمَعه فاجتمع. و﴿مَا﴾ عبارة عمّا يجتمع بالليل ويأوي إلى مكانه مِن الدوابّ وغيرها. ﴿وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ﴾ أي: اجتمع وتمّ بدرًا ليلة أربعَ عشرةَ.

﴿لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ﴾ أي: لَتُلاقُنّ حالًا بعد حال كلُّ واحدة منها مطابقة لأختها في الشِّدّة والفظاعة. وقيل: الطَّبَق جَمْع طَبَقة وهي المرتبة، وهو الأوفق للرُّكوب المنبئ عن الاعتلاء، والمعنى لَتركبُنّ أحوالًا بعد أحوال هي طبقات في الشِّدّة بعضُها أرفع مِن بعض، وهي الموتُ وما بعده مِن مواطن القيامة ودواهيها.

وقُرئ: "لَتَرْكَبَنَّ"[٤] بالإفراد على خطاب الإنسان، باعتبار اللفظ لا باعتبار شموله لأفراده كالقراءة الأولى. وقُرئ بكسر "الباء" على خطاب النفس،[٥]

---

١ بين سيبويهِ والأخفش. انظر لتفصيله: شرح الرضي على الكافية، ٤/١٧١.

٢ س – وقوله تعالى.

٣ القول في الكشّاف للزمخشري، ٤/٥٤٥.

٤ قرأ بها ابن كثير وحمزة والكسائي وخلف. النشر لابن الجزري، ٢/٣٩٩.

٥ قراءة شاذّة، غير منسوبة. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٧١.

و"لَيَرْكَبَنَّ"[١] بـ"الياء"، أي: لَيَركبنّ الإنسانُ. ومحلّ ﴿عَن طَبَقٍ﴾ النصب على أنّه صفة لـ﴿طَبَقًا﴾، أي: طبقًا مجاوزًا لطبَق، أو حال مِن الضمير في ﴿لَتَرْكَبُنَّ﴾ أي: لَتركبنّ طبقًا مجاوِزين أو مجاوِزًا أو مجاوِزةً على حسب القراءة.

﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٢٠ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ۝٢١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ ۝٢٢ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ۝٢٣ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٢٤ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٢٥﴾

و"الفاء" في قوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لترتيب ما بعدها مِن الإنكار والتعجيب على ما قبلها مِن أحوال يوم القيامة وأهوالها الموجِبة للإيمان والسجود، أي: إذا كان حالهم يوم القيامة كما ذُكر، فأيّ شيء لهم حالَ كونهم غيرَ مؤمنين؟ أي: أيُّ شيء يمنعهم مِن الإيمان مع تعاضُد موجِباته؟

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩﴾ جملة شرطيّة محلّها النصب على الحاليّة نسَقًا على ما قبلها، أي: فأيُّ مانع لهم حالَ عدم سجودهم وخضوعهم واستكانتهم عند قراءة القرآن؟ وقيل: قرأ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ذات يوم: ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩﴾ [العلق، ١٩/٩٦]، فسَجَد هو ومَن معه مِن المؤمنين وقريشٌ تصفِّق فوق رءوسهم وتصفِر، فنزلَت.[٢] وبه احتجّ أبو حنيفةَ رحمه الله على وجوب السجدة.[٣] وعن ابن عبّاس رضي الله عنهما: «ليس في المفصَّل سجدة»،[٤] وعن أبي هريرةَ: أنّه سجد فيها، وقال: «واللهِ ما سجدتُ إلّا بعد أن رأيتُ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم / يسجد فيها»،[٥] وعن أنسٍ رضي الله عنه: «صلّيتُ خلفَ أبي بكر وعمرَ وعثمانَ رضي الله تعالى عنهم فسجدوا»،[٦] وعن الحسَن رحمه الله: هي غيرُ واجبة.[٧] [٢٨٥ظ]

١ قراءة شاذّة، مرويّة عن أبي الدرداء والقاسم بن محمّد. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٥٠٧.
٢ الكشّاف للزمخشري، ٥٤٦/٤.
٣ الكلام في الكشّاف للزمخشري، ٥٤٦/٤.
٤ مصنّف عبد الرزّاق، ٣٤٣/٣ (٥٩٠٠)؛ السنن الكبرى للبيهقي، ٤٤٤/٢-٤٤٥ (٣٧٠٧)؛ والكشّاف للزمخشري، ٥٤٦/٤.
٥ بمعناه في صحيح البخاري، ١٥٣/١ (٧٦٦)؛ وصحيح مسلم، ٤٠٧/١ (٥٧٨)؛ ومعالم التنزيل للبغوي، ٣٧٧/٨؛ وبلفظه في الكشّاف للزمخشري، ٥٤٦/٤.
٦ ما وجدته في مظانّه. وهو بلفظه في الكشّاف للزمخشري، ٥٤٦/٤.
٧ الكشّاف للزمخشري، ٥٤٦/٤.

﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ﴾ بالقرآن الناطق بما ذُكر مِن أحوال القيامة وأهوالها مع تحقُّق موجِبات تصديقه، ولذلك لا يخضعون عند تلاوته.

﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ بما يُضمِرون في قلوبهم ويجمعون في صدورهم مِن الكفر والحسد والبغي والبغضاء، أو بما يجمعون في صحفهم مِن أعمال السوء ويدَّخرون لأنفسهم مِن أنواع العذاب عِلمًا فعليًا.

﴿فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ لأنّ عِلمه تعالى بذلك على الوجه المذكور موجِبٌ لتعذيبهم حتمًا.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ استثناء منقطِع إن جُعل الموصول عبارةً عن المؤمنين كافّة، ومتّصلٌ إن أريد به مَن آمن منهم بعد ذلك. وقوله تعالى: ﴿لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونِۭ﴾ أي: غيرُ مقطوع أو ممنون به عليهم، استئناف مقرِّر لِما أفاده الاستثناء مِن انتفاء العذاب عنهم، ومبيِّن لكيفيّته ومقارنته للثواب العظيم.

عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «مَن قرأ سورة انشقّت أعاذه الله تعالى أن يعطيَه كتابه وراءَ ظهره».[1]

[1] الكشف والبيان للثعلبي، ٩٤/٢٩ (الانشقاق، ١/٨٤)؛ التفسير الوسيط للواحدي، ٤٥١/٤ (الانشقاق، ١/٨٤)؛ الكشّاف للزمخشري، ٥٤٦/٤. وهو جزء مِن حديث أُبيّ بن كعب رضي الله عنه في فضائل السور. انظر: الموضوعات لابن الجوزي، ٢٤٠/١.

سُورَةُ الانْشِقَاقِ

ويقال: سورة «انشقَّت». وهي مكيةٌ بلا خلافٍ، وآيُها ثلاثٌ وعشرون آيةً في البصري والشامي، وخمسٌ وعشرون في غيرهما.

ووجهُ مناسبتها لِمَا قبلها يُعلم مما نقلناه عن الجلال السيوطيِّ فيما قبلُ[1]. وأَوْجَزَ بعضهم في بيان وجهِ ترتيب هذه السور الثلاث فقال: إنَّ في «انفطرت» التعريفُ بالحفظة الكاتبين، وفي «المطففين» مقرُّ كَتْبِهم، وفي هذه عَرْضُها في القيامة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١﴾ أي: بالغمام كما روي عن ابن عباس، وذهب إليه الفرَّاء والزجَّاج كما في «البحر»[2]، ويشهد له قولُه تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ﴾ [الفرقان: ٢٥] فالقرآن يفسِّرُ بعضُه بعضاً.

وقيل: تنشقُّ لهول يوم القيامة؛ لقوله تعالى: ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٦]. وبُحِثَ فيه بأنه لا ينافي أن يكون الانشقاقُ بالغمام.

وأخرج ابن أبي حاتم عن عليٍّ كرم الله تعالى وجهه أنها تنشقُّ من المجرة[3]. وفي الآثار أنها بابُ السماء[4].

---

(١) سلف عند بداية تفسير سورة المطففين.

(٢) ٨/ ٤٤٥، وكلام الفراء في معاني القرآن له ٣/ ٢٤٩، وكلام الزجاج في معاني القرآن له ٥/ ٣٠٣.

(٣) الدر المنثور ٦/ ٣٢٩.

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير (١٠٥٩١)، وأبو الشيخ في العظمة (٧٩٦) عن ابن عباس بلفظ: المجرَّة: باب السماء الذي تنشقُّ منه.

وأهلُ الهيئة يقولون: إنها نجومٌ صغارٌ متقاربةٌ جدًّا غيرُ متميزةٍ في الحسِّ، ويظهر ذلك ظهوراً بيِّناً لمن نظر إليها بالأرصاد ولا منافاةَ على ما قيل من أنَّ المراد بكونها بابَ السماء أنَّ مَهْبِطَ الملائكة عليهم السلام ومَصْعَدَهم من جهتها، وذلك يجامِعُ[1] كونَها نجوماً صغاراً متقاربةً غيرَ متميِّزةٍ في الحسِّ.

وخبرُ أنَّ النبيَّ ﷺ أرسل معاذاً إلى أهل اليمن فقال له: «يا معاذ، إنهم سائلوك عن المجرة، فقل: هي لعابُ حيةٍ تحت العرش»[2] ومنه قيل: إنها في البحر المكفوف تحت السماء = لا يكاد يصحُّ، والقولُ المذكورُ لا ينبغي أن يُحْكَى إلَّا لينبَّه على حاله.

وقرأ عبيد بن عقيل عن أبي عمرو «انشقت» وكذا ما بعدُ من نظائره بإشمام التاء كسراً في الوقف، وحَكَى عنه أيضاً الكسرَ أبو عبيد الله بن خالويه[3]، وذلك لغةُ طيِّئ على ما قيل. وعن أبي حاتم: سمعتُ أعرابيًّا فصيحاً في بلاد قيس يكسر هذه التاء، أي: تاء التأنيث اللاحقة للفعل، وهي لغةٌ. ولعل ذلك لأنَّ الفواصل قد تُجْرَى مجرى القوافي، فكما أنَّ هذه التاء تُكسر في القوافي ـ كما في قول كثيِّر عزَّةَ من قصيدة:

وما أنا بالداعي لعزةَ بالرَّدَى ولا شامت إنْ قيل عزةُ ذلَّتِ[4]

إلى غير ذلك من أبيات تلك القصيدة ـ تُكسر في الفواصل، وإجراءُ الفواصل في الوقف مُجْرَى القوافي مهيعٌ معروفٌ، كقوله تعالى: ﴿ٱلظُّنُونَا۠﴾ و﴿ٱلرَّسُولَا۠﴾ في سورة الأحزاب، وحَمْلُ الوصل على حالة الوقف موجودٌ أيضاً في الفواصل.

---

(١) في (م): بجامع.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (١٧٥٤)، والعقيلي في الضعفاء ٣/ ٤٤٩، وابن الجوزي في الموضوعات (٦٤) من حديث جابر ﷺ. قال ابن الجوزي: هذا حديث لا يصح. وأخرجه ابن الجوزي في الموضوعات (٦٣) من حديث معاذ ﷺ، وقال الذهبي في الميزان ٢/ ٥٣٠ ترجمة عبد الأعلى بن حكيم: هذا إسناد مظلم، ومتن ليس بصحيح.

(٣) في القراءات الشاذة ص١٧٠، والكلام من البحر ٨/ ٤٤٥.

(٤) ديوان كثير عزة ص٨٠، والبحر ٨/ ٤٤٥، والكلام منه. ورواية الديوان: إنْ نعلُ عزَّة زلَّت، أي: لم أكن لأشمت إذا زلَّت بها النعل فوقعت.

﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا﴾ أي: استمعت له تعالى، يقال: أذن إذا سمع؛ قال الشاعر:

صمٌّ إذا سمعوا خيراً ذُكِرْتُ به وإن ذُكِرْتُ بشرٍّ عندهم أَذِنوا[1]

وقال قعنب:

إن يَأْذَنُوا ريبةً طاروا بها فرحاً وما هُمُ أَذِنُوا من صالحٍ دَفَنوا[2]

والاستماع هنا مجازٌ عن الانقياد والطاعة، أي: انقادت لتأثير قدرته عز وجل حين تعلَّقتْ إرادتُه سبحانه بانشقاقها انقيادَ المأمور المِطْوَاع إذا وَرَدَ عليه أمرُ الآمِرِ المُطَاعِ. والتعرُّضُ لعنوان الربوبية مع الإضافة إليها للإشعار بعلة الحكم.

وهذه الجملةُ ونظيرتُها بعدُ قيل: بمنزلة قوله تعالى: ﴿أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١] في الإنباء عن كون ما نسب إلى السماء والأرض من الانشقاق والمدِّ وغيرهما جارياً على مقتضى الحكمة على ما قرَّروه.

﴿وَحُقَّتْ ۝٢﴾ أي: جُعِلَتْ حقيقةً[3] بالاستماع والانقياد، لكنْ لا بَعْدَ أنْ لم تكن كذلك، بل في نفسِها وحدِّ ذاتها، من قولهم: هو محقوقٌ بكذا وحقيقٌ به، وحاصل المعنى: انقادتْ لربِّها وهي حقيقةٌ وجديرةٌ بالانقياد؛ لِمَا أنَّ القدرة الربانية لا يتعاصاها أمرٌ من الأمور، لا لأمرٍ اختصَّتْ به من بين الممكنات.

وذكر بعضُهم أنَّ أصل الكلام: حَقَّ الله تعالى عليها بذلك، أي: حَكَم عليها بتحتُّم الانقياد، على معنى: أراده سبحانه منها إرادةً لا نَقْضَ لها.

---

(١) البيت لقعنب بن أم صاحب كما في عيون الأخبار ٣/ ٨٤، وشرح ديوان الحماسة للتبريزي ٤/ ١٢، وبهجة المجالس لابن عبد البر ١/ ٧٢٤، ومختارات ابن الشجري ص٧، واللسان (أذن) و(شور). ودون نسبة في تفسير الطبري ٢٤/ ٢٣٠، ومعاني القرآن للزجاج ٥/ ٣٠٣، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٣/ ١٤٥٠، وتفسير القرطبي ٢٢/ ١٥٨، والبحر ٨/ ٤٤٥.

(٢) تفسير القرطبي ٢٢/ ١٥٨، والبحر ٨/ ٤٤٥. وهذا البيت ورد في عيون الأخبار ٣/ ٨٤، وشرح ديوان الحماسة للتبريزي ٤/ ١٢، وللمرزوقي ٣/ ١٤٥٠، وبهجة المجالس ١/ ٧٢٥، ومختارات ابن الشجري ص٧، واللسان (أذن) و(شور) مقروناً مع البيت الذي سبقه في قصيدة واحدة لكن برواية:

إن يسمعوا ريبة طاروا بها فرحاً مني وما سمعوا من صالح دفنوا

(٣) أي: جديرة وخليقة. حاشية الشهاب ٨/ ٣٣٩.

وقيل: المعنى: وحُقَّ لها أن تنشقَّ لشدة الهول.

والجملةُ على ما اختاره بعض الأجلَّة اعتراضٌ مقرِّرٌ لِمَا قبلها. وقيل: معطوفةٌ عليه، وليس بذاك.

﴿وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ ۝٣﴾ قال الضحاك: بُسطت باندِكاك جبالها وآكامها وتسويتها، فصارت قاعاً صفصفاً لا تَرى فيها عِوَجاً ولا أَمْتاً.

وقال بعضهم: زيدتْ سعةً وبَسْطةً، من مَدَّه بمعنَى أَمَدَّه، أي: زاده. ونحوُه ما قيل: جُرَّتْ فزاد انبساطها وعَظُمَتْ سعتُها، وأخرج الحاكم بسندٍ جيد عن جابر عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «تمدُّ الأرض يوم القيامة مدَّ الأديم، ثم لا يكون لابن آدم منها إلا موضعُ قدميه»[1].

﴿وَأَلۡقَتۡ مَا فِيهَا﴾ أي: رمَتْ ما في جوفها من الموتى والكنوز، كما أخرج ذلك عبد الرزاق وعبد بن حميد عن قتادة[2]، وإليه ذهب الزجَّاجُ[3]، واقْتَصَر بعضهم كابن جبيرٍ وجماعةٍ على الموتى بناءً على أنَّ إلقاء الكنوز إذا خرج الدجَّال، وكأنَّ من ذهب إلى الأول لا يسلِّم إلقاء الكنوز يومئذٍ، ولو سلَّم يقول: يجوز أن لا يكون عامًّا لجميع الكنوز، وإنما يكون كذلك يومَ القيامة.

والقولُ بأنَّ يوم القيامة متسِعٌ يجوز أن يدخل فيه وقتُ خروج الدجَّال، ينبغي أن يُلْقَى ولا يُلْتفَتَ إليه.

﴿وَتَخَلَّتۡ ۝٤﴾ أي: وخَلَتْ عما فيها غايةَ الخلوِّ، حتى لم يبق فيها شيءٌ من ذلك، كأنها تكلَّفت في ذلك أقصى جهدِها، فصيغة التفعُّل للتكلُّف، والمقصود منه المبالغةُ كما في قولك: تَحلَّمَ الحليمُ، و: تكرَّمَ الكريمُ.

وقيل: تخلَّتْ ممن على ظهرها من الأحياء. وقيل: مما على ظهرها من جبالها

(١) المستدرك ٤/ ٥٧٠، والدر المنثور ٦/ ٣٢٩، وعنه نقل المصنف.

(٢) تفسير عبد الرزاق ٢/ ٣٥٩، وعزاه لعبد بن حميد السيوطي في الدر ٦/ ٣٢٩.

(٣) في معاني القرآن ٥/ ٣٠٣.

وبحارها. وكِلَا القولين كما ترى. وقد أخرج أبو القاسم الخُتُّلي[١] في «الديباج» عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «أنا أولُ من تنشقُّ عنه الأرض، فأجلس جالساً في قبري وإنَّ الأرض تحرَّكُ بي، فقلت لها: ما لَكِ؟ فقالت: إنَّ ربِّي أمرني أن ألقي ما في جوفي، وأنْ أتخلَّى فأكونَ كما كنتُ إذ لا شيء فيَّ، وذلك قولُه تعالى: ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾»[٢].

﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا﴾ في الإلقاء وما بعده ﴿وَحُقَّتْ ﴿٥﴾﴾ الكلام فيه نظيرُ ما تقدَّم، وفيه إشارةٌ إلى أنَّ ما ذكر وإنْ أسند إلى الأرض فهو بفعل الله تعالى وقدرتِه عز وجل وتكريرُ كلمة «إذا» لاستقلال كلٍّ من الجملتين بنوعٍ من القدرة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ﴾ أي: جاهِدٌ ومُجدٌّ جدًّا في عملك من خيرٍ وشرٍّ ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا﴾ أي: طول حياتك إلى لقاء ربِّك، أي: إلى الموت وما بعده من الأحوال الممثَّلة باللقاء.

والكدحُ: جهدُ النفس في العمل حتى يؤثِّر فيها، من كَدَحَ جِلْدَه: إذا خَدَشَه، قال ابن مُقْبِلٍ:

وما الدهرُ إلَّا تارتان فمنهما ... أموتُ وأخرى أبتغي العيش أكدحُ[٣]

وقال آخر:

ومضت بشاشةُ كلِّ عيشٍ صالح ... وبقيتُ أكدحُ للحياة وأنصَبُ[٤]

﴿فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾﴾ أي: فملاقٍ له عقيبَ ذلك لا محالةَ من غير صارفٍ يَلْوِيْكَ عنه،

---

(١) في الأصل و(م): الجيلي، وهو تصحيف، وأبو القاسم الخُتُّلي هو إسحاق بن إبراهيم بن محمد نزيل بغداد، قال الدارقطني: ليس بالقوي، وقال الذهبي: في كتابه الديباج أشياء منكرة، توفي سنة (٢٨٣هـ). السير ١٣/ ٣٤٢.

(٢) ذكره بإسناده عن الختلِّي القرطبي في التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة ص ١٨١، ونقله المصنف عن الدر المنثور ٦/ ٣٢٩. وفي إسناده سلام بن سلم الطويل، قال عنه أحمد: منكر الحديث. وقال ابن معين: ليس بشيء. وقال النسائي: متروك. الميزان ٢/ ١٧٥.

(٣) ديوان ابن مقبل ص٢٤.

(٤) النكت والعيون ٦/ ٢٣٥.

والضميرُ له عزَّ وجل، أي: فملاقي جزائه تعالى. وقيل: هو للكدح، أي: فملاقي جزاء الكدح، وبولغ فيه على نحو: «إنما هي أعمالكم تردُّ إليكم»[١]. والظاهر أن «ملاقيه» معطوفٌ على «كادح» على القولين.

وقال ابن عطية بعد ذكره الثاني: فالفاء على هذا عاطفةٌ جملةَ الكلام على الجملة التي قبلها، والتقدير: فأنت ملاقيه[٢]. ولا يظهر وجه التخصيص.

والمراد بالإنسان الجنس كما يؤذِنُ به التقسيم بعدُ، وقال مقاتل: المراد به الأسود بن [عبد الأسد بن][٣] هلال المخزومي؛ جادَلَ أخاه أبا سلمةَ في أمر البعث، فقال أبو سلمة: إي والذي خلقك لتركبنَّ الطبقة، ولتوافينَّ العقبة. فقال الأسود: فأين الأرضُ والسماء؟ وما حالُ الناس؟ وكأنه أراد أنها نزلت فيه وهي تعمُّ الجنس.

وقيل: المراد أبيّ بنُ خلف، كان يكدح في طلب الدنيا وإيذاءِ الرسول ﷺ والإصرار على الكفر، ولعل القائل أراد ذلك أيضاً.

وأَبْعَدَ غايةَ الإبعاد مَن ذهب إلى أنه الرسول عليه الصلاة والسلام، على أن المعنى: إنك تكدح في إبلاغ رسالات الله عز وجل وإرشاد عباده سبحانه واحتمال الضرر من الكفار، فأبشِرْ فإنك تَلْقَى الله تعالى بهذا العمل، وهو غيرُ ضائعٍ عنده جلَّ شأنه.

وجواب «إذا» قيل: قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾﴾ إلخ كما في قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨] وقولُه تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ) إلخ اعتراضٌ.

---

(١) أخرجه بهذا اللفظ أبو نعيم في الحلية ٥/ ١٢٥-١٢٦، والمزي في تهذيب الكمال ١٦/ ٣٧٨ عن أبي ذر رضي الله عنه. وأخرجه مسلم (٢٥٧٧) بلفظ: «إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوَفِّيكم إياها».

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٤٥٧. قال أبو حيان في البحر ٨/ ٤٤٦: ولا يتعيَّن ما قاله، بل يصح أن يكون معطوفاً على «كادح» عطف المفردات.

(٣) ما بين حاصرتين من البحر ٨/ ٤٤٦، والكلام منه.

وقيل: هو محذوفٌ للتهويل، أي: كان ما كان مما يضيقُ عنه نطاقُ البيان. وقدَّره بعضهم نحوَ ما صرِّح به في سورتي التكوير والانفطار.

وقيل: هو ما دلَّ عليه «يا أيها الإنسان» إلخ، وتقديره: لاقَى الإنسانُ كَدْحَه. وقيل: هو نفسُه على حذف الفاء، والأصل: فيا أيها الإنسان، أو بتقدير: يقال.

وقال الأخفش والمبرد: هو قولُه تعالى: ﴿فَمُلَٰقِيهِ﴾ بتقديرِ: فأنت ملاقيه[1]؛ ليكون مع المقدَّر جملةً، وعلى هذا جملةُ «يا أيها الإنسان» إلخ معترضة[2].

وقال ابن الأنباري والبلخيُّ: هو «وأذنت» على زيادة الواو، كما قيل في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧٣][3].

وعن الأخفش أن «إذا» هنا لا جوابَ لها؛ لأنها ليست بشرطيةٍ بل هي في «إذا السماء» متجرِّدةٌ عنها مبتدأ، وفي «وإذا الأرض» خبرٌ، والواو زائدة، أي: وقتُ انشقاق السماء وقتُ مدِّ الأرض.

وقيل: لا جواب لها لأنها ليست بذلك، بل متجرِّدةٌ عن الشرطية واقعةٌ مفعولاً لاذْكُرْ محذوفاً.

ولا يخفى ما في بعض هذه الأقوال من الضعف، ولعل الأولى منها الأوَّلان.

والحساب اليسير: السهل الذي لا مناقشةَ فيه كما قيل. وفسَّره عليه الصلاة والسلام بالعرض وبالنظر في الكتاب مع التجاوُز؛ فقد أخرج الشيخان والترمذيُّ

---

(١) البحر ٨/ ٤٤٦، وقول الأخفش في معاني القرآن له ٢/ ٧٣٦، وينظر التعليق الذي بعده.

(٢) الذي ذكره الأخفش في معاني القرآن، والمبرد كما في زاد المسير ٩/ ٦٣، وتفسير القرطبي ٢٢/ ١٦٠ أن الكلام على التقديم والتأخير، والتقدير: يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه إذا السماء انشقت.

(٣) ذكر ابن الأنباري هذا القول في إيضاح الوقف والابتداء ٢/ ٩٧١ عن بعض المفسرين، ثم تعقَّبه بقوله: وهذا غلط؛ لأن العرب لا تقحم الواو إلا مع «حتى إذا» كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧٣] ومع «لَمّا» كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ۝١٠٣ وَنَٰدَيۡنَٰهُ﴾ [الصافات: ١٠٣-١٠٤] معناه: «ناديناه».

وأبو داود عن عائشة أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «ليس أحدٌ يحاسب إلا هلك» قلت: يا رسول الله جعلني الله تعالى فداك، أليس الله تعالى يقول: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾؟ قال: «ذلك العرضُ؛ يُعْرَضون ومَن نُوقِش الحساب هلك»[1].

وأخرج أحمد وعبد بن حميد وابن مردويه والحاكم وصححه عن عائشة قالت: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول في بعض صلاته: «اللهمَّ حاسبني حساباً يسيراً» فلما انصرف عليه الصلاة والسلام قلت: يا رسول الله، ما الحساب اليسير؟ قال: «أن ينظر في كتابه فيتجاوزَ له عنه»[2].

﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩﴾ أي: عشيرته المؤمنين مبتهجاً بحاله، قائلاً: ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ﴾ [الحاقة: ١٩].

وقيل: أي: فريق المؤمنين مطلقاً وإن لم يكونوا عشيرته؛ إذ كلُّ المؤمنين أهلٌ للمؤمن من جهة الاشتراك في الإيمان.

وقيل: أي: إلى خاصَّته ومَن أعدَّه الله تعالى له في الجنة من الحور والغلمان، وأخرج هذا ابنُ المنذر عن مجاهد[3].

وقرأ زيد بن علي: «ويُقْلَبُ» مضارع «قَلَبَ» مبنيًّا للمفعول[4].

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠﴾ أي: يؤتاه بشماله من وراء ظهره؛ قيل: تُغَلُّ يمناه إلى عنقه وتُجْعَلُ شماله وراء ظهره، فيؤتَى كتابَه بشماله. ورُوي أن شماله تدخُل في صدره حتى تخرج من وراء ظهره فيأخذ كتابه بها. فلا تَدَافُعَ بين ما هنا وما في سورة الحاقة حيث لم يذكر فيه الظَّهْر.

---

(١) صحيح البخاري (٤٩٣٩)، وصحيح مسلم (٢٨٧٦)، وسنن الترمذي (٢٤٢٦) و(٣٣٣٧)، وسنن أبي داود (٣٠٩٣).
(٢) مسند أحمد (٢٤٢١٥)، والمستدرك ١/ ٥٧ و٢٥٥، وعزاه لعبد بن حميد وابن مردويه السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٣٢٩.
(٣) الدر المنثور ٦/ ٣٢٩.
(٤) البحر ٨/ ٤٤٦.

ثم هذا إنْ كان في الكَفَرة وما قبله في المؤمنين المتَّقين فلا تعرُّضَ هنا للعصاة كما استظهره في «البحر»[1]. وقيل: لا بُعْدَ في إدخال العصاة في أهل اليمين، إما لأنهم يُعْطَوْنَ كتبهم باليمين بعد الخروج من النار كما اختاره ابن عطية[2]، أو لأنهم يُعْطَوْنها بها قبلُ لكنْ مع حسابٍ فوقَ حسابِ المتقين ودون حسابِ الكافرين، ويكون قوله تعالى: (فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا) من وَصْفِ الكلِّ بوَصْفِ البعض.

وقيل: إنهم يُعْطَوْنها بالشمال، وتَميَّزَ[3] الكفرة بكون الإعطاء من وراء ظهورهم، ولعل ذلك لأن مُؤْتي الكتبِ لا يتحمَّلون مشاهدةَ وجوههم لكمال بشاعتها، أو لغايةِ بغضهم إياهم، أو لأنهم نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم.

﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ﴿١١﴾﴾ يطلبه ويناديه، ويقول: يا ثبوراه تعالي فهذا أَوَانُكِ، والثبورُ الهلاك وهو جامعٌ لأنواع المكارِه.

﴿وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾﴾ يقاسي حرَّها، أو يدخلها. وقرأ أكثر السبعة وعمر بن عبد العزيز وأبو الشعثاء والحسن والأعرج: «يُصَلَّى» بضمِّ الياء وفتح الصاد واللام مشدَّدة من التصلية[4]؛ لقوله تعالى: ﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ [الواقعة: ٩٤].

وقرأ أبو الأشهب وخارجةُ عن نافعٍ وأبانٌ عن عاصم والعتكي وجماعةٌ عن أبي عمرو: «يُصْلَى» بضم الياء ساكنَ الصاد مخفَّفَ اللام مبنيًّا للمفعول من الإصلاء[5]؛ لقوله تعالى: ﴿وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ﴾ [النساء: ١١٥].

﴿إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ﴾ في الدنيا ﴿مَسْرُورًا ﴿١٣﴾﴾ فَرِحاً بَطِراً مُتْرَفاً لا يخطر بباله أمور الآخرة، ولا يتفكَّر في العواقب، ولم يكن حزيناً متفكِّراً في حاله ومآلِه كسنَّة الصلحاء والمتقين. والجملةُ استئنافٌ لبيان علَّةِ ما قبلَها.

---

(١) ٨/ ٤٤٦-٤٤٧.
(٢) في المحرر الوجيز ٥/ ٤٥٧.
(٣) في (م): وتمييز، وينظر حاشية الشهاب ٨/ ٣٤٠.
(٤) التيسير ص ٢٢١، والنشر ٢/ ٣٩٩ عن نافع وابن كثير وابن عامر والكسائي، والكلام من البحر ٨/ ٤٤٧.
(٥) القراءات الشاذة ص١٧٠، والبحر ٨/ ٤٤٧.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ۝١٤﴾ تعليلٌ لسروره في الدنيا، أي: ظنَّ أنْ لن يَرْجِعَ إلى الله تعالى تكذيباً للمَعاد.

وقيل: ظنَّ أن لن يرجع إلى العدم، أي: ظنَّ أنه لا يموت، وكان غافلاً عن الموت غيرَ مستعدٍّ له. وليس بشيء.

والحَوْرُ: الرجوعُ مطلقاً، ومنه قول الشاعر:

وما المرءُ إلا كالشهاب وضوئه ... يحورُ رماداً بعد إذ هو ساطعُ[(١)]

والتقييدُ هنا بقرينة المقام، و«أنْ» مخفَّفةٌ من الثقيلة سادَّةٌ مع ما في حيِّزها مسدَّ مفعولي الظنِّ على المشهور.

﴿بَلَىٰٓ﴾ إيجابٌ لِمَا بعدَ «لن»، وقولُه تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ۝١٥﴾ تحقيقٌ وتعليلٌ له، أي: بلى يحورُ البتةَ؛ إنَّ ربَّه عز وجل الذي خَلَقه كان به وبأعماله الموجبةِ للجزاء بصيراً بحيث لا تَخْفَى عليه سبحانه منها خافيةٌ، فلا بدَّ من رَجْعِهِ وحسابه ومُجازاته.

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ۝١٦﴾ هي الحمرةُ التي تُشاهد في أفق المغرب بعد الغروب، وأصله من رقَّةِ الشيء؛ يقال: شيء شفقٌ، أي: لا يتماسَكُ لرقَّته، ومنه أشفق عليه: رقَّ قلبُه، والشَّفَقَةُ من الإشفاق، وكذلك الشَّفَقُ؛ قال الشاعر:

تَهْوَى حياتي وأَهْوَى موتَها شَفَقاً ... والموتُ أكرمُ نزَّالٍ على الحُرَمِ[(٢)]

وقيل: البياض الذي يلي تلك الحمرةَ ويُرى بعد سقوطها، وفي تسمية ذلك شَفَقاً خلافٌ؛ فالجمهورُ على أنه لا يسمَّى به، وأبو هريرة وعمر بن عبد العزيز

(١) البيت للبيد، وهو في ديوانه ص١٦٩.

(٢) نسب لإسحاق بن خلف، كما في زهر الآداب للقيرواني ١/ ٤٨٥، والحماسة البصرية ١/ ٢٧٥، وفوات الوفيات ١/ ١٦٤، واللسان (شفق). ونسبه ابن المعتز في طبقات الشعراء ص٢٨١-٢٨٢ لمحمد بن يسير الرياشي. وقال صاحب اللسان (شفق): وقيل: هو لابن المعلى. وهو دون نسبة في عيون الأخبار لابن قتيبة ٣/ ٩٤، والصحاح (شفق).

وأبو حنيفة ﷺ على أنه يسمَّى[1]، ورَوَى أسد بن عمرو عن أبي حنيفة ﷺ أنه رَجَعَ عن ذلك إلى ما عليه الجمهور[2]، وتمامُ الكلام عليه في شروح «الهداية».

وأخرج عبد بن حميد عن مجاهد وعكرمةَ أنه هنا النهارُ كلُّه[3]. وروي ذلك عن الضحاك وابن أبي نجيح، وكأنه شجَّعهم على ذلك عَطْفُ الليل عليه.

وعن عكرمةَ أيضاً: أنه ما بقي من النهار.

والفاء في جواب شرطٍ مقدَّرٍ، أي: إذا عَرَفْتَ هذا، أو تحقَّقْتَ الحَوْرَ بالبعث، فلا أقسم بالشفق.

﴿وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾﴾ وما ضَمَّ وجَمَعَ؛ يقال: وَسَقَه فاتَّسَقَ واسْتَوْسَقَ، أي: جَمَعَه فاجْتَمَع. ويقال: طعامٌ موسوقٌ، أي: مجموعٌ، و: إبلٌ مستوسقة، أي: مجتمعة؛ قال الشاعر:

إنَّ لـنـا قـلائـصـاً حـقـائـقـا

مـسـتـوسـقـاتٍ لـم يَـجِـدْنَ سـائـقـا[4]

ومنه الوَسْقُ: الأصواع المجتمعة، وهي ستُّون صاعاً، أو حملُ بعيرٍ لاجتماعه على ظهره.

---

(١) تنظر أقوالهم في الأوسط لابن المنذر ٢/ ٣٣٩-٣٤١، والتمهيد ٨/ ٩١-٩٢، وأحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٩٨، وزاد المسير ٩/ ٦٥-٦٦.

(٢) الكشاف ٤/ ٢٣٥. وأسد بن عمرو هو أبو المنذر ـ وقيل: أبو عمرو ـ القاضي القشيري البجلي الكوفي، سمع أبا حنيفة وتفقَّه عليه، توفي سنة (١٨٨هـ). الجواهر المضية ١/ ٣٧٦.

(٣) لم نقف عليه عن عبد بن حميد، وأخرجه عن مجاهد الطبري ٢٤/ ٢٤٤.

(٤) الرجز للعجاج كما في اللسان (وسق)، وليس في ديوانه، وهو بلا نسبة في الكامل ٣/ ١١٤٥، والفاضل ص١٠، والثاني في مجاز القرآن ص٢٩١، وتفسير الطبري ٢٤/ ٢٤٥. القلائص: جمع قلوص، وهي الناقة الشابة. والحقائق: جمع حِقَّة، وهي من الإبل ما دخل في السنة الرابعة إلى آخرها، سمِّي بذلك لأنه استحق الركوب والتحميل. النهاية (قلص) و(حقق). قال الشهاب في الحاشية ٨/ ٣٤١: الشاهد فيه ورود مستوسقات بمعنى متَّسِقاتٍ، أي: مجتمعات.

و«ما» تحتملُ المصدريةَ والموصولةَ؛ والجمهورُ على الثاني، والعائد محذوفٌ، أي: والذي وَسَقَه، والمراد به ما يجتمع بالليل ويأوي إلى مكانه من الدوابِّ وغيرِها.

وعن مجاهد: ما يكون فيه من خيرٍ أو شر.

وقيل: ما سَتَره وغطَّى عليه بظُلْمته.

وقيل: ما جمعه من الظُّلمة.

وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن ابن جبير أنه قال: «وما وسق»: وما عُمِلَ فيه[1]. ومنه قوله:

فيوماً تَرانا صالحينَ وتارةً تقومُ بنا كالواسِقِ المتلبِّبِ[2]

وقيل: «وسق» بمعنى طَرَد، أي: وما طَرَدَه إلى أماكنه من الدوابِّ وغيرها، أو: ما طَرَدَه من ضوء النهار، ومنه الوسيقة؛ قال في «القاموس»: وهي من الإبل كالرُّفْقةِ من الناس، فإذا سُرِقَتْ طُرِدَتْ معاً[3].

﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ﴿١٨﴾﴾ أي: اجتمع نورُه وصار بدراً.

﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾﴾ خطابٌ لجنس الإنسان المنادَى أولاً باعتبارِ شموله لأفراده، والمراد بالركوب الملاقاةُ، والطبق في الأصل ما طابق غيره مطلقاً، وخصَّ في العرف بالحال المطابقة لغيرها، ومنه قول الأقرع بن حابس:

إنِّي امرؤٌ قد حلبتُ الدهرَ أَشْطُرَه وساقني طَبَقٌ منه إلى طَبَقِ[4]

و«عن» للمجاوزة، وقال غير واحد: هي بمعنى «بعدَ» كما في قولهم: سادُوك كابراً عن كابر، وقوله:

---

(١) عزاه لعبد بن حميد السيوطي في الدر ٦/ ٣٣٠، ولم نقف عليه عن ابن المنذر.

(٢) النكت والعيون ٦/ ٢٣٧، والبحر ٨/ ٤٤٧، واللسان (وسق).

(٣) القاموس (وسق).

(٤) زاد المسير ٩/ ٦٧، وتفسير القرطبي ٢٢/ ١٧٤. ويقال: حَلَبَ فلانٌ الدهرَ أشطُرَه، أي: خبر ضروبَه، أي: مرَّ به خير وشرٌّ. تهذيب اللغة ١١/ ٣٠٧.

ما زلتُ أقطع منهلاً عن منهلٍ حتى أَنَخْتُ ببابِ عبد الواحد[1]

والمجاوَزَةُ والبَعْدِيةُ متقاربان. والجارُّ والمجرور متعلِّقٌ بمحذوفٍ وقع صفةً لـ «طبقاً» أو حالاً من فاعل «تركبن»، والظاهر أنَّ نَصْبَ «طبقاً» على أنه مفعولٌ به، أي: لتلاقُنَّ حالاً مجاوِزةً لحالٍ أو كائنةً بعد حالٍ، أو مجاوزين لحالٍ أو كائنين بعد حالٍ، كلٌّ واحدةٍ مطابقةٌ لأختها في الشدة والهول.

وجوِّز كون الركوب على حقيقته، وتُجعل الحالُ مركوبةً مجازاً.

وقيل: نصب «طبقاً» على التشبيه بالظرف أو الحالية.

وقال جمع: الطبقُ جمعُ طبقةٍ، كتُخَمٍ وتُخَمةٍ، وهي المرتبةُ ـ ويقال: إنه اسم جنسٍ جمعيٌّ واحدُه ذلك ـ والمعنى: لتركبُنَّ أحوالاً بعد أحوالٍ هي طبقاتٌ في الشدة بعضُها أرفعُ من بعضٍ، وهي الموتُ وما بعده من مواطن القيامة وأهوالها. ورجَّحه الطيبيُّ فقال: هذا الذي يقتضيه النظمُ وترتُّبُ الفاء في «فلا أقسم» على قوله تعالى: ﴿بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾﴾.

وفسَّر بعضهم الأحوال بما يكون في الدنيا من كونهم نطفةً إلى الموت، وما يكون في الآخرة من البعث إلى حين المستقرِّ في إحدى الدارين.

وقيل: يمكن أن يراد بـ «طبقاً عن طبق» الموتُ المطابقُ للعدم الأصلي، والإحياءُ المطابق للإحياء السابق، فيكون الكلام قَسَماً على البعث بعد الموت، ويجري فيه ما ذكره الطيبي.

وأخرج نعيم بن حماد وأبو نعيم عن مكحول أنه قال في الآية: تكونون في كلِّ عشرين سنةً على حالٍ لم تكونوا على مثلها[2]. وفي رواية ابن المنذر وابن أبي حاتم عنه: في كلِّ عشرين عاماً تُحدِثون أمراً لم تكونوا عليه[3]. فالطبقُ بمعنى عشرين

---

(١) ذكره الفخر الرازي في تفسيره ٣١/ ١١١.
(٢) الفتن لنعيم بن حماد (٤٢)، والحلية ٥/ ١٨٤.
(٣) الدر المنثور ٦/ ٣٣١.

عاماً، وقد عدَّ ذلك في «القاموس» من جملة معانيه[١]، وما ذكر بيانٌ للمعنى المراد.

وقيل: الطبقُ هنا القرنُ من الناس، مثلُه في قول العباس بن عبد المطلب يمدح رسول الله ﷺ:

وأنتَ لمَّا وُلدْتَ أشرقتِ الأر ضُ وضاءتْ بنورك الأفقُ

تُنْقَلُ من صالبٍ إلى رَحِمٍ إذا مضى عالَمٌ بدا طَبَقُ[٢]

وأنَّ المعنى: لتركبنَّ سَنَنَ من مضى قَبْلَكم قرناً بعد قرنٍ. وكِلَا القولين خلافُ الظاهر.

وقرأ عمر وابن مسعود وابن عباس ومجاهدٌ والأسود وابن جبير ومسروقٌ والشعبيُّ وأبو العالية وابن وثَّابٍ وطلحةُ وعيسى والأخوان وابنُ كثيرٍ: «لَتَرْكبَنَّ» بتاء الخطاب وفتح الباء[٣]. وروي عن ابن عباس وابن مسعود أنهما أيضاً كسرا تاءَ المضارعة، وهي لغة بني تميم[٤]، على أنه خطابٌ للإنسان أيضاً، لكن باعتبار اللفظ لا باعتبار الشمول.

وأخرج البخاريُّ عن ابن عباس أنَّ الخطاب للنبيِّ ﷺ[٥]، ورُوي ذلك عن جماعةٍ، وكأنَّ مَن ذهب إلى أنه عليه الصلاة والسلام هو المرادُ بالإنسان فيما تقدَّم يذهبُ إليه، وعليه يراد: لتَرْكَبُنَّ أحوالاً شريفةً بعد أخرى من مراتب القُرْب. أو:

---

(١) القاموس (طبق).

(٢) المعاني الكبير لابن قتيبة ١/ ٥٥٧، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٥٩، والبحر ٨/ ٤٤٨، ووردا ضمن خبر أخرجه الطبراني في الكبير (٤١٦٧)، والحاكم ٣/ ٣٢٨، والبيهقي في الدلائل ٥/ ٢٦٨. وقال الحاكم: هذا حديث تفرَّد به رواته الأعراب عن آبائهم، وأمثالهم من الرواة لا يضعون. وقال صاحب اللسان: أراد بالصالب الصُّلْب، وهو قليل الاستعمال. وقال ابن قتيبة: العالَم: القرن من الناس، وكذلك الطبق من الناس.

(٣) التيسير ص٢٢١، والنشر ٢/ ٣٩٩ عن ابن كثير وحمزة والكسائي وخلف، والكلام من البحر ٨/ ٤٤٧.

(٤) البحر ٨/ ٤٤٨.

(٥) صحيح البخاري (٤٩٤٠).

مراتبَ من الشدة في الدنيا؛ باعتبارِ ما يقاسيه ﷺ من الكفرة ويعانيه في تبليغ الرسالة.

أو الكلامُ عِدَةٌ بالنصر، أي: لتُلاقِنَّ فتحاً بعد فتحٍ، ونصراً بعد نصر. أو تبشيرٌ بالمعراج، أي: لتَرْكَبَنَّ سماءً بعد سماءٍ، كما أخرجه عبد بن حميد عن ابن عباس وابن مسعود[١]، وأيِّد بالتوكيد بالجملة القسمية والتعقيبِ بالإنكارية.

وأخرج ابن المنذر وجماعةٌ عن ابن مسعود أنه قال في ذلك: يعني السماء تنفطرُ ثم تنشقُّ ثم تحمرُّ[٢]. وفي رواية: السماءُ تكون كالمهل، وتكون وردةً كالدهان، وتكونُ واهيةً، وتشقَّقُ، فتكون حالاً بعد حالٍ[٣]. فالتاء للتأنيث والضمير الفاعل عائدٌ على السماء.

وقرأ عمر وابنُ عباس أيضاً: «لَيَرْكَبَنَّ» بالياء آخِرِ الحروف وفتح الباء على الالتفات من خطاب الإنسان إلى الغيبة، وعن ابن عباس: يعني نبيّكم عليه الصلاة والسلام[٤]. فجَعَل الضميرَ له ﷺ، والمعنى على نحوِ ما تقدَّم.

وقيل: الضمير الغائب يعود على القمر؛ لأنه يتغيَّر أحوالاً من سرارٍ واستهلالٍ وإبدارٍ.

وقرأ عمر أيضاً: «لَيَرْكَبُن» بياء الغيبة وضمِّ الباء[٥]، على أن ضمير الجمع للإنسان باعتبارِ الشمول.

وقرئ بالتاء الفوقية وكَسْرِ الباء[٦] على تأنيث الإنسان المخاطب باعتبارِ النفس.

---

(١) الدر المنثور ٦/ ٣٣٠، وأخرجه عن ابن مسعود أيضاً الطبري ٢٤/ ٢٥٤، والطبراني في الكبير (١٠٠٦٨)، والحاكم ٢/ ٥١٨.

(٢) الدر المنثور ٦/ ٣٣٠، وأخرجه أيضاً الطبري ٢٤/ ٢٥٥ بلفظ: تَشَقَّقُ ثم تحمرُّ ثم تنفطر.

(٣) عزاه بهذه الرواية السيوطي في الدر ٦/ ٣٣٠ لعبد بن حميد وابن المنذر والبيهقي في البعث.

(٤) البحر ٨/ ٤٤٧، وذكر القراءة عن عمر ابن خالويه في القراءات الشاذة ص١٧٠.

(٥) البحر ٨/ ٤٤٨.

(٦) القراءات الشاذة ص١٧٠، والبحر ٨/ ٤٤٨، والدر المصون ٩/ ٧٣٨، وقيدها السمين بفتح حرف المضارعة، وقال ابن خالويه: بالكسر فيهما.

وأمرُ تقدير الحالية المشارِ إليها فيما مرَّ على هذه القراءات لا يخفى.

والفاء في قوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٢٠﴾ جوِّز أن تكون لترتيب ما بعدها من الإنكار والتعجُّب على ما قبلها من أحوال يوم القيامة وأهوالها، المشارِ إليها بقوله تعالى: (لَتَرْكَبُنَّ) إلخ على بعض الأوجه الموجبةِ للإيمان والسجود، أي: إذا كان حالهم يوم القيامة كما أشيرَ إليه فأيُّ شيءٍ لهم حالَ كونهم غيرَ مؤمنين؟ أي: أيُّ شيءٍ يمنعهم من الإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ، وسائرِ ما يجب الإيمان به، مع تعاضُدِ مُوْجِباته من الأهوال التي تكون لتاركه يومئذٍ؟

وجوِّز أن يكون لترتيب ذلك على ما قبلُ من عظيم شأنه عليه الصلاة والسلام، المشار إليه بقوله سبحانه: (لَتَرْكَبُنَّ) إلخ على بعضٍ آخَرَ من الأوْجُهِ السابقة فيه، أي: إذا كان حاله وشأنه ﷺ ما أشير إليه، فأيُّ شيءٍ يمنعهم من الإيمان به عليه الصلاة والسلام؟

وجوِّز أن يكون لترتيب ذلك على ما تضمَّنه قوله سبحانه: (فَلَآ أُقْسِمُ) إلخ مِمَّا يدلُّ على صحة البعث من التغييرات العلوية والسُّفليةِ الدالَّة على كمال القدرة، وإليه ذهب الإمام[١]، أي: إذا كان شأنُه - تعالى شأنُه - كما أشيرَ إليه من كونه سبحانه وتعالى عظيمَ القدرة واسعَ العلم، فأيُّ شيء يمنعهم عن الإيمان بالبعث الذي هو من جملة الممكنات التي تَشْمَلُها قدرتُه عز وجل، ويحيط بها علمُه جلَّ جلاله؟

﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۝٢١﴾ عطفٌ على الجملة الحالية، فهي حاليةٌ مثلُها، أي: فأيُّ مانعٍ لهم حالَ عدم سجودهم عند قراءة القرآن، والسجودُ مجازٌ عن الخضوع اللازم له على ما روي عن قتادة، أو المراد به الصلاةُ، وفي قَرْنِ ذلك بالإيمان دلالةٌ على عظم قَدْرِها كما لا يخفى.

أو هو على ظاهره، فالمرادُ بما قبله: قرئ القرآنُ المخصوص، أو: وفيه آيةُ سَجْدةٍ، وقد صحَّ عنه ﷺ أنه سجد عند قراءة هذه الآية؛ أخرج مسلم وأبو داود

(١) في تفسيره ٣١/١١١.

والترمذيُّ والنسائيُّ وابنُ ماجه وغيرهم عن أبي هريرة قال: سجدنا مع رسول الله ﷺ في ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾ و﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾(١).

وأخرج الشيخان وأبو داود والنسائيُّ عن أبي رافع قال: صلَّيتُ مع أبي هريرة العتمةَ، فقرأ ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾ فسجد، فقلت له، فقال: سجدتُ خلف أبي القاسم ﷺ، فلا أزال أسجدُ فيها حتى ألقاه عليه الصلاة والسلام(٢).

وفي ذلك ردٌّ على ابن عباس رضي الله عنهما، حيث قال: ليس في المفصَّل ـ وهو من سورة محمد ﷺ، وقيل: من «الفتح»، وقيل وهو قول الأكثر: من «الحجرات» ـ سجدةٌ(٣).

وهي سنَّةٌ عند الشافعيِّ وواجبةٌ عند أبي حنيفةَ، قال الإمام: روي أنه ﷺ قرأ ذات يوم: ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾ [العلق: ١٩] فسجد هو ومَن معه من المؤمنين، وقريشٌ تصفِّقُ فوق رؤوسهم وتصفر، فنزلت هذه الآية. واحتجَّ أبو حنيفة على وجوب السجدة بهذا من وجهين:

الأول: أنَّ فِعْلَه عليه الصلاة والسلام يقتضي الوجوبَ؛ لقوله تعالى: ﴿وَٱتَّبِعُوهُ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

الثاني: أنه تعالى ذمَّ مَن يسمعُه ولا يسجد، وحصول الذمِّ عند الترك يدلُّ على الوجوب(٤). انتهى.

وفيه بحثٌ، مع أنَّ الحديث ـ كما قال ابن حجر ـ لم يثبت(٥).

﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾﴾ أي: بالقرآن، وهو انتقالٌ عن كونهم لا يسجدون

---

(١) صحيح مسلم (٥٧٨) (١٠٨)، وسنن أبي داود (١٤٠٧)، وسنن الترمذي (٥٧٣)، وسنن النسائي ٢/ ١٦١، وسنن ابن ماجه (١٠٥٨).

(٢) صحيح البخاري (٧٦٦)، وصحيح مسلم (٥٧٨) (١١٠)، وسنن أبي داود (١٤٠٨)، وسنن النسائي ٢/ ١٦٢-١٦٣.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٥٩٠٠)، وصحح إسناده ابن حجر في الدراية ١/ ٢١١.

(٤) تفسير الرازي ٣١/ ١١٢.

(٥) قال ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف ص١٨٣: لم أجده.

عند قراءته إلى كونهم يكذِّبون به صريحاً، ووُضِعَ الموصول موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالكفر، والإشعارِ بعلَّة الحكم. وقرأ الضحاك وابن أبي عبلة: «يَكْذِبون» مخفَّفاً وبفتح الياء(١).

﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾﴾ أي: بالذي يُضْمِرونه في صدورهم من الكفر والحسد والبغضاء والبغي ف «ما» موصولة والعائدُ محذوفٌ.

وأصل الإيعاء: جَعْلُ الشيء في وعاء. وفي «مفردات» الراغب: الإيعاء حِفْظُ الأمتعة في وعاءٍ، ومنه قوله:

والشرُّ أخبثُ ما أَوْعَيْتَ من زاد(٢)

وأريدَ به هنا الإضمارُ مجازاً، وهو المرويُّ عن ابن عباس، ولا يلزمُ عليه كونُ الآية في حقِّ المنافقين مع كون السورة مكيةً كما لا يخفَى.

وفسَّره بعضهم بالجمع، وحُكي عن ابن زيد، وجوّز أن يكون المعنى: والله تعالى أعلم بما يجمعونه في صحفهم من أعمال السوء.

وأيًّا ما كان فعِلْمُ الله تعالى بذلك كنايةٌ عن مُجازاته سبحانه عليه.

وقيل: المرادُ الإشارةُ إلى أنَّ لهم وراء التكذيب قبائحَ عظيمةً كثيرةً يضيقُ عن شرحها نطاقُ العبارة.

وقال بعضهم: يحتمل أن يكون المعنى: والله تعالى أعلم بما يضمرون في أنفسهم من أدلة كونه ـ أي: القرآن ـ حقًّا. فيكون المراد المبالغةَ في عنادهم وتكذيبهم على خلاف عِلْمِهم، والظاهر أنَّ الجملة على هذا حالٌ من ضمير «يكذِّبون»، وكونُها كذلك على ما قيل من الإشارة خلافُ الظاهر.

---

(١) القراءات الشاذة ص١٧٠، والبحر ٨/ ٤٤٨.

(٢) مفردات الراغب (وعى)، وصدر البيت: الخير يبقى وإن طال الزمان به، وقائله عبيد بن الأبرص كما في الأغاني ٢٢/ ٩٣، والمستقصى ١/ ٣٢٦، وفصل المقال في شرح كتاب الأمثال للبكري ص٢٤١، والخزانة ١١/ ٢٥٧. وقال البكري: الشعر لعبيد بإجماع من الرواة.

وقرأ أبو رجاء: «بما يَعُون» من وَعَى يَعي[(١)].

﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾﴾ مرتَّبٌ على الإخبار بعلمه تعالى بما يُوعون مراداً به مجازاتُهم به. وقيل: على تكذيبهم. وقيل: الفاء فصيحةٌ، أي: إذا كان حالهم ما ذكر فبشِّرهم.. إلخ.

والتبشير في المشهور: الإخبار بسارٍّ، والتعبيرُ به هاهنا من باب:

تـحـيـةُ بـيـنـهـم ضـربٌ وجـيـع[(٢)]

وجوِّز أن يكون ذلك على تنزيلهم ـ لانهماكهم في المعاصي الموجبةِ للعذاب، وعدمِ استرجاعهم عنها ـ منزلةَ الراغبين في العذاب، حتى كان الإخبارُ به تبشيراً وإخباراً بسارٍّ. والفرقُ بين الوجهين يظهر بأدنى تأمُّلٍ.

وأبْعَدَ جدًّا من قال: إنَّ ذلك تعريضٌ بمحبة نبي الرحمة ﷺ البشارةَ، فيستعار لأمره عليه الصلاة والسلام بالإنذار لفظُ البشارة تطييباً لقلبه ﷺ.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ استثناءٌ منقطعٌ من الضمير المنصوب في «فبشرهم».

وجوِّز أن يكون متصلاً على أنْ يراد بالمستثنى مِن آمَنَ وعَمِلَ الصالحات: مَن آمن وعَمِلَ بعدُ منهم، أي: من أولئك الكفرة، والمضيُّ في الفعلين باعتبارِ عِلْمِ الله تعالى، أو هما بمعنى المضارع.

ولا يخفَى ما فيه من التكلُّف، مع أنَّ الأول أنسبُ منه بقوله تعالى: ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍۭ ﴿٢٥﴾﴾ لأنَّ الأجر المذكور لا يخصُّ المؤمنين منهم، بل المؤمنين كافةً، وكونُ الاختصاص إضافيًّا بالنسبة إلى الباقين على الكفر منهم خلافُ الظاهر، على أنَّ إيهام الاختصاص بالمؤمنين منهم يكفي في الغرض كما لا يخفى.

والتنوينُ في «أجر» للتعظيم، ومعنى «غير ممنون»: غيرُ مقطوع، مِن مَنَّ: إذا

---

(١) البحر ٨/٤٤٨.
(٢) سلف ٥/٦٤.

قطع. أو: غيرُ معتدٍّ به ومحسوبٍ عليهم، مِن منَّ عليه: إذا اعتدَّ بالصنيعة وحَسَبَها. وجعل بعضُهم المنَّ بهذا المعنى من مَنَّ بمعنى قَطَعَ أيضاً؛ لِمَا أنه يقطع النعمة ويقتضي قطعَ شكرها.

والجملة ـ على ما قيل ـ استئنافٌ مقرِّرٌ لما أفاده الاستثناء من انتفاء العذاب عن المذكورين، ومبيِّنٌ لكيفيته ومقارنتِه للثواب العظيم الكثير.